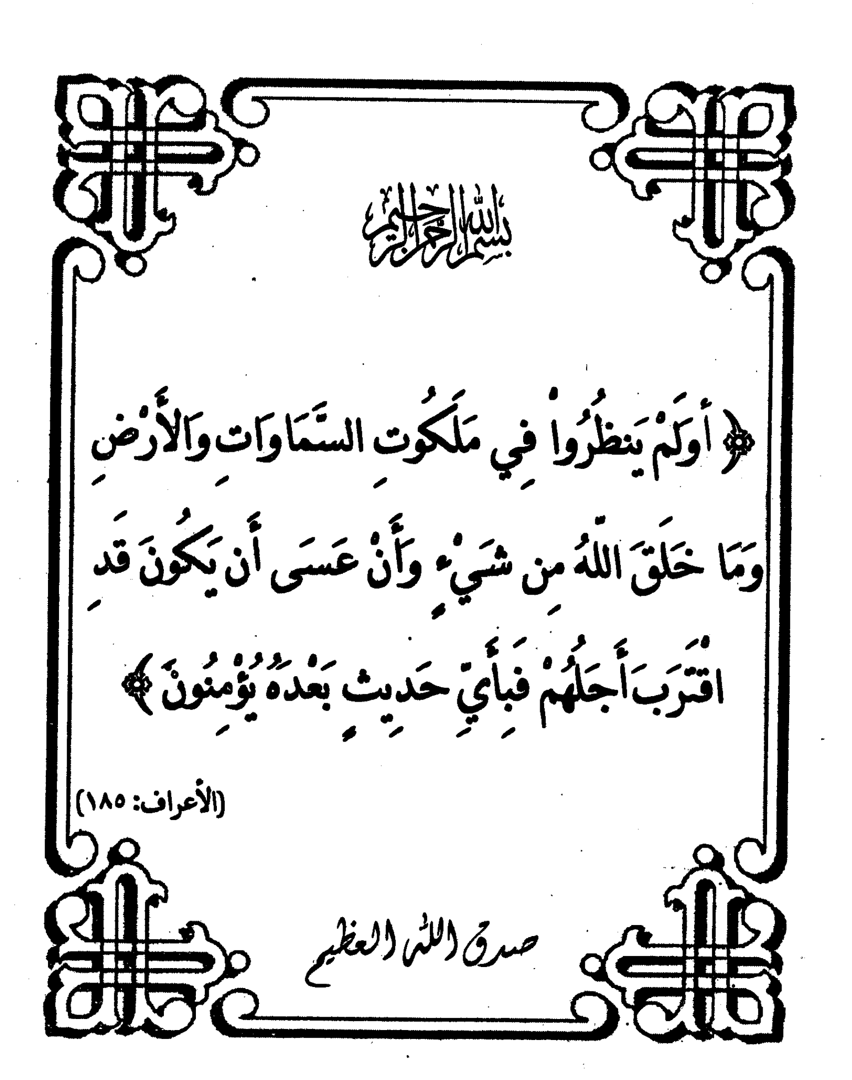
رحلة في أعماق الكون

صلاح الدين أبو العينين

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
الناشر "شمس الفكر"
٩١/٧ شارع أحمد الزمر – مدينة نصر بالقاهرة
ت: ٢٨٧٦٣١٥
توزيع مؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة
رقم الإيداع: ١٠٣٢٥/ ٢٠٠٥
رقم مسلسل دولى: ٨ ـ ٠٠ ـ ١٤٨٥ ـ ٩٧٧


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ
اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾
(الأعراف: ١٨٥)
صدق الله العظيم

هذا الكتاب

لأنه من نبع ونور كتاب الحق سبحانه وتعالى، فقد جاء حقاً ونوراً .. ومن ثم جاء أكيد البرهان ساطع البيان. وليس فخراً ولا تفاخراً أن القـــرار الوزاري للقائمة الببليوجية للكتب قد وضعت هذا الكتاب على ...

القمة

على رأس كتب قدامى العلماء ومحدثيهم وأساتذة الجامعات؛ ونـــص القرارا الوزاري للعام الدراسي ١٩٩٣/٩٢ على أنه كتاب للأساتذة المدرسين بجميع مراحل التعليم ...

وهذه هي ...

الطبعة الرابعة

في حلة جديدة قشيبة وإخراج أجمل وأوضح على المحجة البيضـــاء. وقد أبى سيف الحق إلا أن يُزيدها الرد القاطع والحاسم الذي يفضح هــؤلاء الذين يتجرءون على تطويع معاني كلمات الله العظيم التامات بغير علم بـــل ومع تجاهل ما كشفت عنه تجارب الفضاء من حقائق مادية كونية، قهراً من عند أنفسهم ليوافقوا نظريات الملحدين ...

شمس الفكر

تقديم

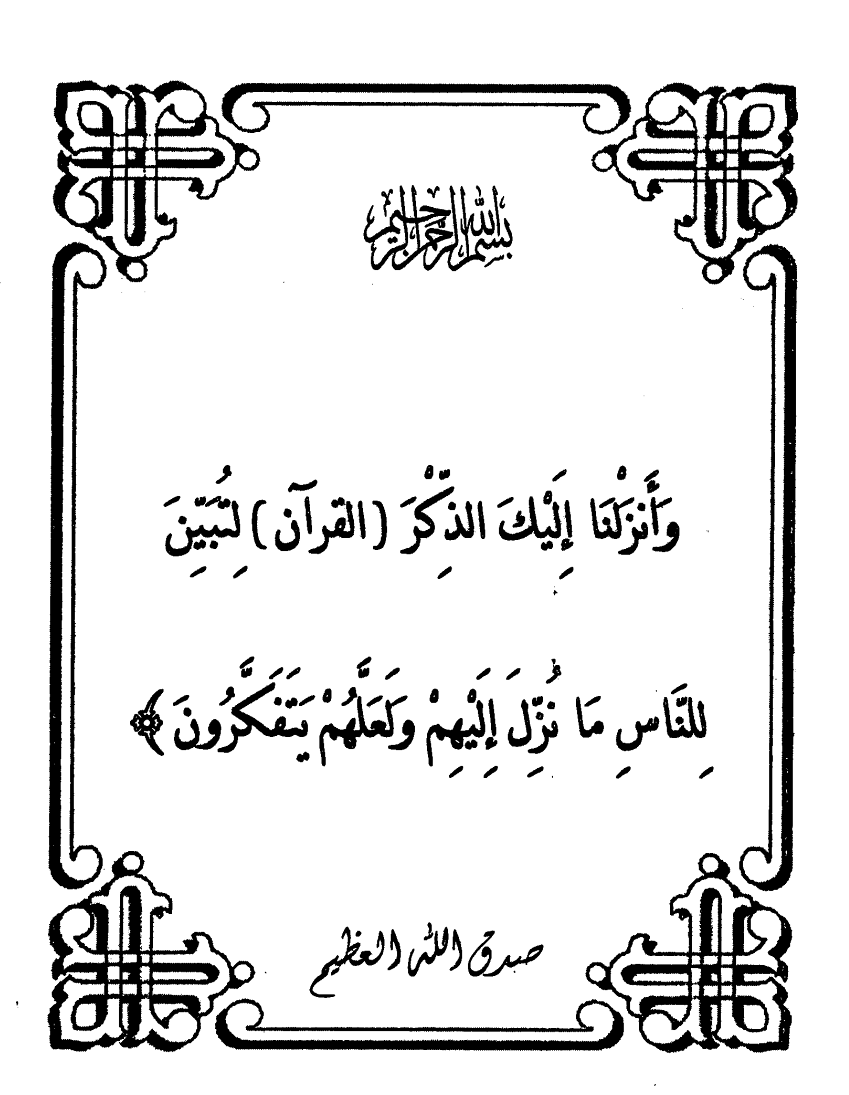
في مطالع النصف الثاني من القرن العشرين، صعد رائد الفضاء الروسي تيتوف في الجو على ارتفاع ٢٩٠ كم من سطح البحر إلى الأرض قال في حفل إلحادي أقيم له حرص المسئولون عنه أن يحضره كثير من المسلمات؟! أنه بحث عن .... الله فلم يجده !!؟

وكان هذا وغيره مما جاء بعده بمثابة عود الثقاب الذي أشعل النار في صدور الكثير من المؤمنين والمؤمنات ... حيث قعد علماء الدين عن الرد على مثل هذه الترهات خوفاً وقهراً بسبب عدم إلمامهم بعلوم الطبيعة الموجودة في مشاهد الكون والمسطورة في قرآن رب العالمين ...

ولأن مناهج التعليم خواء من الحق الإلهي، ولأن الدسيسة التعليمية في المدارس والجامعات ركزت على تدريس علوم الطبيعة وفق "الظنون" المادية والإلحادية فجاءت أكاذيب من بعد ريب ومعتقدات على خلاف ما هو في الكون من مشاهد وأدلة ساحقة فوصف الله العظيم كل قولهم منذ أزله إلى أبده بأنها "تخرصات" في قوله تعالى: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا . إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ (الأنعام ١٤٨).

ومن ثم كان حقاً لله العظيم على المؤمنين أن يدفعوا ذلك الافتراء والبهتان بالحق المبين كتاب الله العظيم مؤيداً بمشاهد الكون دحضاً لتخرصات الماديين وتابعيهم بجهل أ، قهر وبياناً للحق المبين.

ومن هنا كان هذا الكتاب المكون من خمسة عشر فصلاً تناولت موضوع "الكون" منذ البداية حتى النهاية في دراسة مقارنة ... نظريات الماديين بعضها مع البعض ومدى تناقضها مع المشاهد الكونية ورحلات الفضاء ونتائجه الصحيحة والتي أزهقت تلك النظريات وأثبتت فسادها ... **فإذا ما بينا العلم الإلهي وحقائقه ومدى مطابقته لمشاهد الكون الجامدة والسابحة ... رأينا الحق قد جاء أبلجاً والنور قد سطح فأعشى عيون المتأولين على رب العالمين.**


بسم الله الرحمن الرحيم
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ (القرآن) لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
صدق الله العظيم


أنت
وفهم الكون



أنت وفهم الكون

من فوق الأرض ، نظر الإنسان إلي السماء مراراً لملايين السنين.

ثم ...

ومنذ آلاف السنين ، أعيد خلق آدم[1] وأهبط إلي الأرض، قدماه فوقها ورأسه نافذة في السماء، فقد كان هذا طوله.

وكان يسمع صوت الملائكة، فضاقوا به وشكوا إلى الله، فجعل طوله ستين ذراعاً، ووضع البيت الحرام على الأرض ليأنس إليه ويعبد الله من حوله[2].

ومنذ ذلك الوقت وآدم وبنوه يتطلعون إلى السماء، يريدون أن ينفذوا من أقطارها، ليعرفوها ويأنسوا بها، وقد شغفهم منظرها الرائع وسكونها الوقور وضخامتها الجليلة وفخامتها ذات الأبهة والنور.

وحاول كبار المفكرين والفلاسفة منهم .. الوصول إلى أسرار الكون .. أسرار الأرض والسماء، فقالوا في ذلك كثيراً .. إلا أن أهم وأخطر ما قيل هو ما قاله أرسطو ثالث ثلاثة أثروا الفكر واثروا فيه، فوصل بمنطقة السليم وبدليله الصحيح إلى أن الحقائق تعرف بأسبابها، فوضع بذلك الأساس الصلب والصحيح لاستجلاء الحقيقة.

إلا أن آراء كثيرة تشابكت بأعمدة المعرفة، فأدت إلى النزول بالحقيقة في مهاوي الظن، فصاروا يقدمون بين يديها الخيالات والوهم، فإذا بالناس

---

(١) "حكاية البشر .. علمياً" للمؤلف / ٧٧ وما بعده.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١/٨٠.

بين هذه الأوهام في ظنون وريب، فتشابهت الأفكار وتنافرت، واضـطربت النفوس وتصارعت. الأمر الذي جعل الناس في مفترق الطرق بين نظريات شتى متضاربة بل ومتناقضة.

وانعكس كل ذلك على أهم حقيقة ألا وهي حقيقة خلق الكون ومن ثم حقيقة حركة أجرامه وحقائق كل ما في السماوات والأرض.

***

ولما كان ذلك على وجه من وجوه التحديد، قد ضرب أطنابـه فـي معاهد أوروبا وبين مفكريها.

فإن دنيا المسلمين، كانت في شأن آخر تماماً.

ذلك بأن الله العظيم بعث فيهم رسولاً معه رسالة أوحيت إليه صـلى الله عليه وسلم بحرفها ولفظها ورسمها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، تكلمت مع النفس الإنسانية بجلال وصفاء ووضوح وتفصيل مبـين، حتى إذا ما كان القول الإلهي العظيم عن خلق الكون، زاده الخـالق تأكيـداً وتفصيلاً وبياناً وأعذاراً وإنذاراً، لأن أمر الخلق إنما يتكلم عن أصل أصول الدين جميعاً، ألا وهو رب العرش العظيم.

وظل المسلمون على إيمان ثابت بأن الله هو الذي خلـق السـماوات السبع طباقاً كما خلق من قبلهن الأرض سبعاً طباقاً، كما خلق الملائكة والجن ثم الإنسان والحيوان والنبات، وسخر كل شيء في السماوات والأرض جميعاً منه للإنسان وكرمه وحمله في البر والبحر.

وظل المسلمون على ذلك أكثر من ألف عام ...

حتى إذا تفرق المسلمون وذهب ريحهم.

وحتى إذا ألم ببلاد المسلمين احتلال المشركين.

وحيث احتلوا الأرض بالجنود ثم احتلوا قلـوب المسـلمين بلغـتهم وعاداتهم وأفكارهم وغير ذلك.

ولأن المغلوب مهما حقد على الغالب، فإنه -رغماً عنـه- مبهـور بقوته التي صفدت يداه وأوهنت قواه وشلت إرادته وزيفت فكره ...

وإذا كان ذلك ...

فإن المحتل وقلبه مملوء بالخوف من الإسلام والمسلمين وفرضـية القتال في سبيل الحكم بما أنزل الله،

قد بيت النية المؤكدة والضغينة الضارية منذ أسر لويس التاسع أربع سنوات بالمنصورة، على أن يضيع الإسلام من قلوب المسلمين، فنشر فـيهم وبينهم العلمانية[١] بكل أقطارها ومفاهيمها في العلوم والحكم وسياسة التبلـيم واختلاط الذكور بالإناث وتعرية المرأة ورحلات الشباب والشابات معاً وترك العبادات وتعليم اللغات الأجنبية حتى تفسد الألسن فلا تقرأ القـرآن فتجهلـه فتهجره ومن ثم تهجر الدين جملة ويضيع الإسلام من المسلمين، ثـم تظـل بالإعلام العلماني دائبة على تكريس ذلك كله ...

وقد تحقق للمشركين من مخططهم الكثير بأيديهم تارة وبأيدي العملاء المقهورين تارات ؟!

فكثير من النساء كاسيات عاريات مائلات مميلات.

---

(١) العلمانية ترجمة خبيثـة وضـعها المستشـرقون المشـركون لكلمـة Unreligous Secularity التي معناها الصحيح هو "اللادين" يعني الكفر.

والاختلاط في التعليم أزاغ القلوب وزرع الحسرة في الصدور، ونظرة واحدة إلى اختلاط البنات بالذكور يهيل التراب على الفضيلة ويسود وجوه القائمين على التعليم بغضب الرحمن.

والحكم بالقوانين الوضعية أثار الفتن وزرع المشاكل بين الناس فإذا هم في غم وكمد وضغائن وأحقاد، حتى امتلأت البلاد بالفساد وضجت المحاكم من كثرة القضايا وحتى أماتت قلوب أصحاب الحق وطحنت القضاة بين فكي الإرهاق والباطل.

ثم انساب الناس من الحق إلى الضلال، فتاه منهم الطريق الصحيح وضاعت الأرض في غير نهج الله اشتدت الحاجة وألحت، وبرزت في الوجود البأساء والضراء[1].

فلم يكن بد، والضعف والوهن قد صارا عمدة الحياة، أن نمد الأيدي بطلب الصدقة ... ونطلق عليها "معونة" حتى إذا ادلهمت الأمور بين اليد العليا واليد السفلى، وجدنا المتصدقين يمنون علينا بالعطاء ونجد أنفسنا من خزي ذلك فؤادنا هواء.

ضاع منا القرآن العظيم، فضاع منا كل شيء، وإذا بنا في الأسفلين، الذين يطلق عليهم بالأمم النامية،وإن كانت حقيقتها الأمم الضائعة النائمة.

في هذه الظلمات.

تساءل بعض الذين يعترك في صدورهم الإيمان مع معلومات الشرك والإلحاد: هل القرآن؟ هل الإسلام يتعارض مع علوم العصر؟

---

(١) اقرأ في هذا الموضوع كتاب: "أساليب الغزو الفكري" للدكتور علي جريشة وكتاب "حصوننا مهددة من الداخل" للدكتور محمد حسين، وغير ذلك كثير.

ذلك بأنه ...

قد استقرت في وجدان الناس هذه المعاني، حيث زاغ عنهم أن بالقرآن علوم الخلق وعلوم السنن الكونية أو ما يطلق عليها جميعاً بعلوم الطبيعة وظواهرها .. أي علوم العصر ...

ومن قبل سنوات عندما نادى الشيخ الإمام محمد عبده بتدريس أحد علوم الطبيعة وهو علم الجغرافيا لطلبة الأزهر الشريف، قامت قيامة علماء الأزهر عليه واتهموه بالكفر والجنون. ومازال الأزهر ممتنعاً حتى الآن !!

إلى هذا الحد من ضيق الأفق والانغلاق العقلي والفهم الخاطئ .. وصل الأمر جميعًا .. لا فرق بين عالم وجاهل !!

والقرآن العظيم مكون من ٦٢٣٦ آية كما أحصاها الإمام الحافظ بن كثير . عد العلماء منها ٣٦٨ آية خاصة بأحكام العبادات والمعاملات وفريضة القتال في سبيل الله(١). ثم زهاء ٥٠٠ آية في الهداية الأخلاقية.

وظل علماء المسلمين يشرحون بالتفسير هذه الآيات منذ كان الإسلام والي هذه الساعة إلا القليل عند السلف الصالح ...

هداه الله إلى العلوم التي تهم الناس في حياتهم، مثل الخوارزمي الذي اكتشف "الصفر" فوضع النظام العشري، ثم قعد علم الحساب على بديهيته الواحد والإضافة ووضع الجداول الرياضية التي نسميها – على درب العبط في الأخذ عن الأجانب بالنقل الأعمى- جداول اللاوغاريتمات، حيث نطق الفرنسيون اسم الخوارزمي بلسانهم فنطقوه لوغاريزم فكانت جداوله بجمع التكثير عندنا لوغاريتمات!! وعمت حمى النقل والجهل والعقد النفسية

(١) كتاب "علم أصول الفقه" للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف.

ومركبات النقص، أبصارنا أن نقول "جداول الخوارزمي". واكتشف الخوارزمي أيضاً علم الجبر حتى يختصر بها العمليات الحسابية. كل ذلك من نور القرآن العظيم، نور الآيات العددية فيه .. وآيات الميراث.

واكتشف ابن سينا سرعة الصوت والدورة الدموية في الإنسان، وصححها له ابن النفيس سنة ١٢٠٠ شمسية، فظل ذلك أساس علوم الطب في العالم لقرون كثيرة ..

ووضع الشريف الإدريسي خطوط الطول والعرض على الكرة الأرضية.

واكتشف الحسن بن الهيثم سرعة الضوء وكيف الرؤية البصرية .. وأخرج عبد الرحمن بن خلدون علوم الاجتماع من القرآن العظيم، وشاعت فلسفات المسلمين لاسيما ابن رشد حتى كان اسمه في أوروبا على كل لسان .. وغير ذلك كثير.

ومع هذا، ورغم هذا

فقد ظل علماء الإسلام متقوقعين على مائدة الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، لا يقومون منها إلا ليجلسوا إليها ...

حتى إذا دخلت الشعوبية قصور الحكام .. ذهب ريحهم

فإذا هم يتأثرون بمخططات العلمانية وقهر الاحتلال ..

ثم يزداد فيهم الانغلاق ويخرجوا من الدين وقدسيته إلى الأخذ بمفاهيم العصر وعاداته فينشروا في مجلة "الأزهر" صوراً لثلاث فتيات يلبسن الملابس الأوروبية الكاشفة الفاضحة ويعلقون تحتها متباهين فرحين !! بتطور الأزهر ؟!

أما بقية آيات الكتاب الكريم، وهي تربو على الخمسة آلاف آية، فأنها تتكلم بتمحيص علمي دقيق ومذهل في إثبات الوجود الإلهي والقدرة الربانية بعلوم الخلق والسنن الكونية، أي بعلوم الطبيعة، فتتكلم في خلق الكون، ماذا كان الأصل وماذا كانت البداية ثم ما الذي خلقه رب العالمين أولاً وماذا فعل به وفيه ثم ماذا خلق ثانياً وكيف نظمه وزينه؟ ثم ثالثاً ما الذي أدى ووفى. والله العظيم بهذا يدحض كل ما في الكتب العلمانيين من نظريات وأفكار ملحدة ومشركة، ويوجه أعنف إنذار في القرآن للناس إن هم أعرضوا عن الحقيقة القرآنية.

وآيات القرآن العظيم كما تتكلم عن خلق الكون ..

فإنها تتكلم عن خلق الإنسان بالتفصيل والبيان

فتذكر القدرة الإلهية في واقعة الخلق الغيبي لأول مرة للإنسان من تراب بكن فيكون ثم تذكر سلالة التراب حتى تصل إلى الصلصال كالفخار الذي سوى وعدل ونفخ فيه الروح فأصبح آدم عليه السلام بشرًا وحيداً في العالمين، ومنه خلق له زوجه وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً في هذه الحياة الدنيا.

ثم ..

يخطئ "النظام العروض" أحد أئمة المعتزلة ويحاول في بيان الخلق .... لا من صلصال كالفخار ويقول بالنشوء والارتقاء، ويتبعه عبد الرحمن بن خلدون فيؤصل النظرية ويقعدها[1].

---

(١) "القصص القرآني" للأستاذ عبد الكريم الخطيب.

والله العظيم جعل "الجدال" بين البشر، أما القرآن فيبين .. وكان نتيجة هذا الخطأ الفادح في الجدال وانتشار أفكار ابن خلدون في أوروبا بعد ترجمة كتبه، أن أخذها داروين وزاد عليها وفصل فيها وقاص الإنسان على الطيور ورتب وقال ما قال بالنشوء والارتقاء(١).

وبعد عشرات السنين يثبت باليقين المادي العلمي خطأ النشوء وخطأ الارتقاء.

ويضبط أحد المشايعين لداروين وهو يقدم عظام الإنسان على أنه عظام قرد متقدم !!(٢).

وسبحان الله العلي العظيم عما يشركون ...

ورغم كل وضوح القرآن العظيم في بيانه وتفصيله.

فقد أعرض الناس، بتأثير القهر العلماني فيهم، عن التماس علوم الخلق والسنن الكونية في كتاب الله ...

حتى إذا ناقشت علماء الدين، خافوا الجهر بآيات الله، والتمسوا مقولة الكفر، وأولوا المعاني القرآنية تأولاً لا تأويلاً حتى لا يتهموا بالجهل أو الجمود أو التخلف !!.

خشوا الناس ولم يخشوا الله جل جلاله

وإذا كان السؤال عن التعارض والتناقض بين القرآن والمعاصرة – بكل علومها- يتضمن إنكار وجود العلم في القرآن .. فإنه، وحتى يمكن

---

(١) أصل الأنواع تشارلس داروين. وأصل الإنسان لداروين أيضاً.

(٢) الإنسان والقرد – سقوط داروين، للأستاذ عبد الرزاق نوفل، ص١١٣.

معرفة هل السؤال صحيح أم خطأ، يجب علينا أن نتبين معنى "العلم" ثم هل في القرآن "علم". ومن ثم نعلم إذا كان ثمة تعارض وتناقض وما هو الصحيح ..

المتفق عليه: أن العلم قاعدة ثابتة لا تتغير ولا تزول ولا تتعارض يشهد بصحتها واقع مقطوع بوجوده في الكون.

فمثلاً، ولله المثل الأعلى

خلق الله تبارك وتعالى جسد الإنسان من سلالة من طين: تراب أضيف إليه الماء فصار طيناً لازباً ثم تخمر فصار حمأً مسنوناً ثم غلظ فصار صلصالاً ثم جف بغير نار فصار صلصالاً كالفخار. وسواه رب العالمين ثم نفخ فيه من الروح فصار نفساً تدرك وتفهم وتفكر وتعمل بلطائف السمع والبصر والفؤاد[1].

ولأن الجسد وحده صلصال كالفخار ليس فيه حياة أي ليس نفساً تدرك وتفكر وتعمل.

ولأن هذا الواقع أي الإدراك والفهم والعمل أمر مقطوع بوجوده.

فإن هذا الواقع يشهد بوجود النفس وما بها من "أسرار إلهية" – وهو ما يطلق عليها اسم الروح–!.

ولأن هذا كله أمر ثابت لا يتغير ولا يزول ولا يتعارض يشهد بصحته هذا الواقع المقطوع بوجوده.

إذاً فالنفس وما بها من أسرار علم أي كلاهما حق رغم أنهما غيب.

---

(١) "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي.

ولأن الإنسان شهادة في جسده، غيب في نفسه وأسرارها.

فإن الله العظيم

أخبره عن الغيب في كتابه المبين وأقسم على وجوده، وتحدى الناس أن يأتوا ولو بذبابة !!

ذلك بأن القسم يكون حيث لا شهادة ولا إقرار، وزاد التحدي على القسم تأكيداً وإثباتاً.

أما الشهادة فهي مجال العقلانية الإنسانية، لأن فطرة العقل أدواتها ما يراه ببصره ويسمعه بأذنه ويحسه بحواسه.

فإذا ما أراد الله جل شأنه أن يبين للناس أنه "الواجد" أي الذي أوجد وحده بقدرته السماوات والأرض، وهما من عالم الشهادة، طلب منهم أن يتفكروا في خلقهما بفطرة العقل البشري.

وإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يبين للناس أنه خلقهم من تراب أي خلق أجسادهم من تراب، والجسد من عالم الشهادة، طلب منهم أن يتفكروا في خلقه بفطرة العقل البشري ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم من تراب ﴾ (الحج: ٥) بقياس النهاية على البداية .. بداية الخلق لأول مرة بكن فيكون. ﴿ أولا يذكر الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئاً ﴾ (مريم ٦٧)

أما الغيب

فلا يعلمه إلا الله

ولأن الروح غيب. قال العلي الكبير ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ .

ولأن القرآن العظيم غيب

فتحدى الناس ومعهم الجن أن يأتوا بمثله، ولو بسورة من عشر كلمات ..

ولأن القدرة الإلهية غيب

فتحدى الناس أن يأتوا بالشمس من المغرب.

ولأن الخلق غيب

قال: ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها – أي نركبها – ثم نكسوها لحما ﴾

وتحدى ... أن ﴿ يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾.

١

والغيب من الملكوت

والشهادة من الملك

ولأن أحداً لم يخلق ذرة في السماوات ولا في الأرض فإن الله العظيم هو الخالق لكل شيء وبيده ملكوت كل شيء بدليل الوجود والعجز عن إيجاد ولو مثل الموجود ...

إذاً فالعلم لصاحب الخلق، لصاحب الملك والملكوت.

ولأن هذا هو الحق ..

فقد أنزل الله سبحانه كل العلوم التي تخاطب النفس الإنسانية في آيات محكمة وواضحة، بل وبأسلوب مباشر للذين يتأملون اللغة.

فأول ما أنزل الله، أنزل علوم الخلق لكـــي يثبــت بهـــا الألوهيـــة ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ولم يقل اقرأ باسم الله الـــرحمن الـــرحيم، لأن الإنسان لن يؤمن بالرحمن الرحيم إلا إذا آمن مسبقاً بأنه الذي خلقه وخلق كل شيء ..

لهذا، فإن الله سبحانه أثبت كل أصول الدين – وهي في قمتها الأحدية الإلهية والبعث وما بينهما من الملائكة والكتب الإلهيـــة والنبيـــين – بعلـــوم الخلق، خلق السماوات والأرض وخلق كل شيء، وبعلوم السنن الكونيـــة أو التي نسميها بالظواهر الطبيعية.

فقال جل جلاله:

﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ (الحديد: ٤)

وكرر ذلك عدة مرات للتأكيد على أنه ســبحانه الخــالق الــرحمن الرحيم.

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٦٣-١٦٤).

وقال جل شأنه لكي يثبت للناس أنه وحده وليس فـــي الكـــون أرض ولا ناس إلا كوكب الأرض والناس الذين عليها:

﴿وهو الذي سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾ (الجاثية: ١٣)

فخاطب "النفس الإنسانية" بما تراه من خلق الكون وسننه فيه من تسخير الأجرام السماوية والبحار والرياح والسحب وما في الأرض، والأنعام، على نهج واحد دائم ومستمر، أي خاطب النفس بدلائل عمله في إبداعه ودلائل قدرته المتفردة في كل ما خلق مسخرة لها وحدها.

ولما كانت علوم إثبات "الخلق" و"القدرة" لله تبارك وتعالى هي الميدان الحقيقي والموضوعي للإيمان بالله وبالغيب فإنه سبحانه وبرحمته وجه الناس إلى:

النظر في السماء والأرض لفهم ملكوته تبارك وتعالى فيهما وفي كيف خلقهما وفي الإمساك بهما وتحريك الأجرام التي في السماء.

لذلك بين سبحانه أن التفكير في خلق الكون يؤدي إلى الإيمان بالله بكل الوضوح واليقين .. فقال سبحانه وتعالى:

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ يؤدي بهم هذا التفكير إلى التصديق بأن الله هو الخالق فيقولون:

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك﴾

ومن ثم يتضرعون إليه تبارك وتعالى:

﴿فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران ١٩١)

ولأن هذا هو السبيل الوحيد الصحيح في الوصول إلى الإيمان بـــالله سبحانه؛ فإن الله تبارك وتعالى ينصحهم بـــالنظر فـــي ملكـــوت الســـماوات والأرض قبل أن يفاجئهم الموت فيقول تبارك وتعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٦).

ثم يزيد ربنا النصح إلى الأمر فيقول الرحمن الرحيم:

﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (يونس ١٠١).

ذلك بأن هذا التفكر والنظر يؤديان إلى اليقين بالأحدية الإلهية فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾

(الأنعام ٧٥)

فدل سبحانه بأن حديث خلق السماوات والأرض وخلق، الإنسان وما خلق الله من شيء وتسخير ما في الكون ..

هو وحده:

حديث الإيمان بالله تبارك وتعالى.

لأنه هو وحده الحديث الذي يبين للناس:

أن الله تبارك وتعالى هو "الواجد" "الماجد" أي الذي لا يعوزه شيء لخلق كل شيء، ومن ثم ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ (الحشر ٢٤).

أي هو سبحانه وحده أوجد الخلق وأوجد سننه.

وعند اليقين بهذا الحق، يخاف الناس ربهم، فيخشوه فيطيعوه، فيكونوا من المتقين.

ومن هنا كانت "التقوى" هي معيار تحديد "الأكرم" عند الله تبارك وتعالى ﴿إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ (الحجرات ١٣).

فإذا سمعنا من البعض ..

أن علوم الخلق والسنن الكونية لا تزجى فائدة للناس فإننا نكون قد سمعنا قولاً ليس له من الحق شيئاً.

ومن هنا،

فإن تجاوز علوم الخلق والسنن الكونية أي الظواهر الطبيعية بعلومها المختلفة، إلى الكلام ابتداءً في شرح مضمون أصول الدين والأخلاق والأحكام، لابد وأن يؤدي إلى عدم القناعة بضرورتها في ذاتها، ذلك بأنها تكون مقولة مبتورة الأصل والأساس ..

ولأنها بغير أساس فإن التعدي عليها يكون أمراً وارداً ونقاشها أمراً حتماً، وهو ما يثير النزاع الفكري والخلاف ثم الاختلاف.

ومن هنا،

نجد إرهاصات الكفر العلماني والتصادم والتعارض بأردية مزوقة زاهية تنشب وتتصارع مع حقائق الإيمان، الأمر الذي ينعكس على سلوك الناس فنجد أعمالهم أخلاطاً، ونواياهم أشتاتاً، وأفئدتهم هواء. فلا عقل للأمور ولا فكر مستنير، ولكنه أخذ بالسبل وتفرق فيها كنتيجة حتمية للهوى الإنساني.

وعندما يدخل الهوى في النفوس يدخل معه الشيطان بنزغه ونفثه ونفخه، فإذا بنا من منطلق الأهواء المختلفة في صراع مع الأفكار الخبيثة والآراء الضالة، والنتائج الهابطة العابثة، أضف إليها جميعاً أساليب العلمنة في الحكم والعلم والتعليم والمجتمع والمرأة والإعلام وعمل كل أولئك في الناس.

فإذا بنا في مجتمع آلهه هواه.

سلوكه الرياء والنفاق والكذب، سلوك الخسر.

ومهما نفخ أصحاب النوايا الطيبة فيه من هداية، فإنه نفخ في صدور مضطربة وبذر في أرض بور وحرث في بحر لجي.

ولهذا

وجدنا الإعراض عن القرآن أمر يسير بين الناس كأنهم عليه راغمين.

والشتات الفكري هو الشمل الذي يلف أعطافهم.

والتفرق عن سبيل الله هو التيه الذي يسيرون فيه. بل يتبعون أهواءهم.

كل ذلك سببه:

أن اليقين بالله سبحانه ليس هو العلم عند الناس.

ولهذا أنزل الله سبحانه وتعالى أو ما أنزل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

من هذا كله:

يتبين لنا أن أحكام التوحيد في أصول الدين وأحكام الهداية في الأخلاق، والتي كلاهما تخاطب النفس الإنسانية وتشبع النور الإيماني وزينته في قلوب وصدور ومواجيد الناس فتضبط الصدور في وهج اليقين بالحق الإلهي وعظيم خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وتجعل من العبادات شوقاً أكيداً تسرع إليه الأبدان التي اشتراها الرحمن فناءً في الأرض لجنة الغفار {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} (التوبة: ١١١)، فإذا بالمعاملات بين الناس ديناً قيماً حتى يقول إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم: (الدين المعاملة)، وإذا بالصدق والطهر في قلوب الناس يخرج على لسانهم حتى يقول سيد الناس صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة) فإذا بأحكام المعاملات تضع بين الناس الموازين القسط، عدلاً أكيداً في كل ما ينطق به اللسان وتعمله الأيدي وتراه الأبصار في كون الله ... في خلقه أرضه وسماواته وسنن تحريك أجرامه ... فنقول باليقين لا إله إلا هو الحي القيوم.

وهذا كله

غير علوم الصناعة التي قذف الله بها في صدر آدم عليه السلام ومنه إلى بنيه في قوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} (البقرة ٣١).

فإذا فرقنا بين كل علم من هذه العلوم، أي عرفنا مضامين العلوم.

وإذا علمنا أن القرآن العظيم لم يشمل علوم الصناعة لأن الله تبارك وتعالى علمها من قبل لآدم ومن ثم بنيه.

فإنه يجب علينا أن نكون راشدين ...

فلا ننبهر بالتقدم المادي الصناعي عند بعض الناس؛ إلا أنه من سعيهم الدائب ونشاطهم المشكور في استكشاف الحق الذي قذف في قلوبهم.

ولا نحسب أن هذا التقدم، وهو عند الكفرة حالياً، دليل على خواء القرآن من أسباب التقدم أي خوائه من "العلم" ومن ثم نكون قد خلطنا بين علوم القرآن وعلم الصناعة.

بل: ولا نسمع لهؤلاء الجهلة والجاهلين والمرتدين الذين طعنوا على الدين بالتأخر.

كما لا نسمع للملاحدة الذين قالوا بأن الدين أفيون الشعوب.

ولكن نسمع لله ... ذلك بأن:

القرآن العظيم

قد ضمنه ربنا سبحانه وتعالى العلوم العليا: علوم خلق الآفاق وما فيها وعلوم سننها وعلوم الإنسان في خلقه ومنهج حياته في الدنيا وللآخرة.

ومن هذا

يثبت لكل ذي بصيرة ورشد ...

أنه لا مجال إطلاقاً للزج بالصناعة والصناعات في علوم القرآن العظيم أو إجراء مقارنة بين علوم القرآن وعلوم الصناعة فلا يفعل ذلك إلا جاهل.

ودراسة القرآن العظيم وتلاوته بحقها تدلنا على أن القرآن أنما أنزل للإنسان لمخاطبته في:

- الإيمان بالغيب ببراهين حقائق علوم الخلق والسنن الكونية.
- الهداية الإنسانية بما فيه من علوم الأخلاق وتزكية النفس.
- الاتصال الدائم بالخالق العظيم بما فيه من العبادات.
- الحكم بين الناس بالعدل لاستقامة القصد وصلاح الحياة بما فيه من أحكام المعاملات ونظام الحكم وحرية الإنسان.
- بناء الأمة الإسلامية بناءً عسكرياً لتنفيذ فريضة القتال في سبيل الله لحكم من على الأرض جميعاً بحكم الله حتى يشبع العدل بينهم وتستقيم لهم حريتهم فيستطيعوا أن يتفكروا ويصلوا إلى حق وحقيقة الإيمان.

وحتى يكون ذلك على المحجة البيضاء والحق الأبلج، فقد بدأ العلي العظيم كتابه في تنزيله بحقائق الخلق والقدرة.

وحتى يتم ذلك على أحسن وجه وأدق تعبير وأعظم بيان وأقوم قصد؛

فإنه سبحانه أنزل قرآنه العظيم باللغة العربيـة ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ وضبطه بنغم إلهي يلين له الجلد والقلب فتنشرح له الصدور فيملأها نور الإيمان بإذن ربها يقيناً وسلاماً وقوة ...

ومن ثم ..

كان لابد وأن تضبط اللغة بقواعد تنظيم المعـاني ووزن التصـرف والتصريف للأسماء والأفعال مع تحديد لأوجه البيان والبـديع والمحسـنات حتى يكون القول مستقيماً ومانعاً على أي تحريف أو تأول أو افتئات؛ فلا تقع في ضلال الخطأ إذا أخطأ أحد من الناس، ولا نزيغ فـي متاهـات الـوهم وخيالات ودنس العلمانيين كما سنبين بعد.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
صدق الله العظيم




القرآن
والمعاصرة



القرآن والمعاصرة

قال الله تبارك وتعالى أنه سبحانه: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ (النحل ٣).

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾ (آل عمران ١٩١) وآيات كريمة كثيرة في هذا الخصوص.

والحق -من حيث الشكل- هو الأمر الثابت الذي لا يزول ولا يتغير ولا يتناقض، والباطل ضده تماماً أي الذي يزول أو يتغير أو يتناقض. ومن حيث الموضوع فالحق له حقيقة دائمة دائبة الفيض بالخير وضد ذلك الباطل!!

ولما كانت مقولة العلمانيين في حجر الأساس لعلوم الطبيعة أي علوم الخلق هي:

١- أن السديم هو أول ما وُجد.

٢- أن السماوات وما فيها من نجوم وجدت أولاً ثم من النجوم وجدت ملايين الكواكب وأحد هذه الكواكب الأرض.

٣- أنه لأن السديم الأول كان يدور بسرعة فقد تناثرت منه النجوم بفعل قوة الطرد المركزية ودارت حوله بفعل قوة جذبه لها وتساويها مع سرعة الدوران.

فكذلك لما تناثر النجم الذي وجدت منه الأرض دارت الأرض حوله كما يدور لذات السبب فانبعجت في وسطها وتفلطح قطباها.

٤- وبناء على ذلك فإن الأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس وهي النجم الذي وجدت من جزء تناثر منها ثم برد وتصلب، ويقال أيضاً أن الأرض من نجم آخر تفتت منه ووجدت الشمس بالصدفة فدارت حول الشمس.

ولما كان القرآن العظيم ..

يناقض ذلك تماماً فيقول:

١- أن الله العظيم خلق الأرض أولاً.

٢- أن الله العظيم خلق ثانياً كل ما في الأرض من عناصر الحياة.

٣- أن الله العظيم خلق بعد ذلك من الدخان حول الأرض السماوات السبع ثم رفعها وزين السماء الدنيا بالنجوم أي خلق النجوم آخر ما خلق من شيء.

قال تعالى في سورة الرحمن ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ أي جعل الأرض مخفوضة.

٤- أن الله بعد تمام خلق ما تقدم دحى الأرض أي أخرج منهـا ماءهـا ومرعاها فهيأها بذلك للحياة في مدة ترك للعلماء معرفتها.

إذاً ..

وبكل الوضوح والصراحة ...

فالتناقض في موضوع خلق الكون، كما اسلفنا، أمر واقـع مـذكور ومنشور وثابت بين.

ولما كانت مقولة العلمانيين قد ذاعت بين الناس وطغت للأسباب التي أوجزناها آنفًا، فقد سيطر الفكر العلماني على أفئدة الناس وعقـولهم، حتـى صار الناس يخشون الجهر أو حتى الإسرار بمقولة الخالق العظيم!!

حتى زعماء الدين؟!

تغير قولهم تحت وطأة القهر؛ فأصبحوا يجرجرون ذيـول الجهالـة والجهل، بل يضعون مقولات القهر أو الجهل موضع الحق، ظناً منهم أنهـم بهذا يظهرون ... وبأنهم على علم معاصر؛ ولما كانت قواعد اللغة التي أنزل بها القرآن وقواعد تفسيره لا تؤيدهم، فقد لجأوا إلى الابتـداع والتـأول ... يخشون الناس ولا يخشون الله.

ولما كان ذلك ...

قد أدى إلى إرهاصات وصراعات فكرية مزقت صدور الكثير مـن أصحاب الثقافات وجعلت نور الإيمان بالله في قلوبهم يضطرب بل ويخفت.

فقد سألوا وتساءلوا:

هل يوجد تعارض بين "الدين" و"العلم"؟.

وهل هذا التعارض وصل إلى حد التناقض؟.

وإذا كان قول العلمانيين صحيحاً، فماذا عن "الدين"؟.

وواضح من هذه الأسئلة أن السائلين غير مقتنعين بالشروح الخاطئة التي ادعاها الكثيرون ... ليطوعوا معاني "القرآن العظيم" لتتفق مع أفكار العلمانيين، كما أنهم في الوقت نفسه مأخوذون ببهرج العلمانيين ..

ذلك بأن التساؤل يحمل مدارج الشك وإلا ما وجد.

ويرد على أحدهم أستاذاً مخضرماً في الفلسفة ..

فيقول بكل الوضوح :

ليس ثمة تعارض ولا تناقض لأن القرآن كتاب "أخلاق" والأخلاق لا تتعارض مع التقدم العلمي والصناعي المذهل (؟!!) بل تتضافر معه ويقوى بها.

فحصر القرآن العظيم في جزء من أحكامه ألا وهو علم الأخلاق؛ وظن أن التساؤل عن التعارض بين القرآن والعلم هو عن علم الصناعة الذي ليس له وجود في القرآن، فنفى وجود "العلم" ككل في القرآن العظيم!! رغم قوله تعالى عن القرآن العظيم ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء ١٦٦).

ولو أنه نفى وجود "علم الصناعة" وحده لأصاب في بعض الحق، ولكنه نفى وجود "العلم كل العلم .. بإطلاق. وحكى قصة ما فعلته علمنة الحملة الفرنسية مع بعض شيوخ الأزهر عندما رعشوهم بالتيار الكهربائي"

وأخذ من هذه القصة سنداً وعنصراً للمناداة بضرورة "المعاصرة" وليس التقليد والنقل بالجهل والجهالة ..

والأستاذ -أطال الله بقاءه- فيما كشف بعد ذلك، وأخبر عن أفكار العلمانيين في الطبيعة ووصفها بأنها حقائق علمية ثابتة، ليتندر في مقال له لاحق بأنه مازال حتى الآن يوجد في الدنيا واحد يقول بجمود الأرض عن الحركة رغم أن العالم كله يقول بدورانها ..

وإذا كان رأينا أن فلسفة عصرنا ما هي إلا مهزلة لفظية عبثية، فإن المضحك المبكي معاً جميعاً أن شيخاً من شيوخ الأزهر يعمل داعية لكتاب الله العظيم، يعلق على نقلنا لتفسير آيات خلق الكون وحركة أجرامه من كتب الأئمة العلماء المعترف بفضلهم على العالمين، بأنه قمامة فكرية؟!

فإننا لا نرد على سباب كتابه؛ ولكن ندعو الله أن يشذب كلماته ويهديه إلى أن الجدل بين الناس في كلام الله يكون بالعلم والهدى والكتاب المنير، وأن الله أمرنا ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾.

وإن دل ذلك على شيء ..

فإنما على أن الأستاذ والشيخ وأمثالهما كثيرين مقهورون مأخوذون بفكر العلمانيين، ولم يكلفوا أنفسهم أن يبوءوا إلى كتاب رب العالمين ... ولكن كيف يفعلون ذلك وهم ليسوا في نوره ؟ ..

ومن عجب يشهق له الإنسان دهشة ..

أن العلمانيين لم يقولوا حتى الآن كلمة أخيرة في علوم الخلق؛ فما بال الأساتذة والمشايخ يؤكدون ؟!.

أنها ظاهرة لا تدل إلا على منتهى ما نحن فيه من مذلة ومسكنة وجهالة وقهر رهيب الجميع معاً!!

وأن فقرات هذا "الكتاب" لتفند بقوة علمية ساحقة كل ما قاله العلمانيون عن "الخلق" الذي أسموه "وجود الكون".

وأن فقرات هذا الكتاب لتبين لهؤلاء الذين يشايعون العلمانية كيف يخلطون بين مضامين العلوم فيجعلونها مضمونا واحداً، أو ترهقهم أنفسهم وتطلعاتهم المادية، فيجعلونها خليطاً واحداً، فجعلوا وخلطوا بين ما خلق الله العظيم وما صنعه الإنسان أمر وارد كتطوير المصنوعات، فتتغير الأرض أو السماء أو يزيد من سرعة الضوء ودوران الشمس والقمر .. كما تزيد سرعة السيارات والطائرات؟!!

وإذا كان الخلط بين مضامين العلوم قد سيطر على تفكيرهم فجعلهم يقصرون القرآن على كتاب في الأخلاق، فإن الحضارة في ظنهم قد نامت تحت أقدام المدنية أو لا فرق بينهما، وصار الرجل الفحل الجسم الكثير المال ليس إلا واقفاً شامخاً فوق رؤوس العلماء، وأن لكلمة منه احتمالية تؤخذ عندهم بالقهر فيهم له على أنها الحقيقة الأكيدة!! وكأن المعاصرة لديهم:

هي التخبط واستمرار الجهل بالقرآن، والأخذ بمدنية العصر: كهرباء وأدواتها وصناعات بمختلف أشكالها وزينتها، وأفكار العلمانيين حتى إن قال العلمانيون أنفسهم أنها تجارب تختبر أو نظريات تناقش!!.

أما الإنسان لديهم ..

فيكفيه "الأخلاق" بمفهومهم !!؟

ولاشك أن أستاذ الفلسفة يعلم أن "الأخلاق" عند أصحاب العصر وأرباب المعاصرة هي مذاهب "السلوك" التي فقدت الإيمان أصولاً وفروعاً، خواء من القيم الأخلاقية الموضوعية التالدة الفاضلة، متخذين ألفاظاً وحركات شكلية ناعمة نبراساً وطريقاً للتعامل متناسين الصراط المستقيم وما فيه من النوايا الفاضلة والقيم الكريمة، فانحدرت مجتمعاتهم إلى كل ألوان الدنس والنجس علانية وبلا خجل ولا حياء معلنين بكل البيان أن "اللذة والمنفعة" هي حياتهم[1].

أي بكل الصراحة: ألههم هواهم ..

وإذا كانت بعض الأمم الآن في ثروة وثورة صناعية، فإن القرون الأولى كانت أكثر منهم، يقول الخالق العظيم:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (غافر: ٨٢).

والقرآن العظيم ..

لا ينسى المدنية والمعاصرة.

وإنما هو يأمر بها بالإشارة، فيقول سبحانه: ﴿ وقل اعملوا ﴾ العمل بإطلاق طبقاً للمنهج الإلهي، ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ كل صناعات الأسلحة المادية والمعنوية فالقرآن يحض على العمل، والعمل هو كل حركة الحياة وهو الأساس للعمل على مدرجة التقدم المادي والمدنية والحربية ..

---

(١) "فلسفة القيم" للدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، ١٠٣-١١٩.

وقد ألقاها في صدر آدم ومنه لبنيه كما ذكرنا آنفاً ...

أما علوم القرآن العظيم في علوم التوحيد والأخلاق والخلق والتسخير فنأخذ بألباب الناس وقلوبهم إلى الآفاق في الكون وفي أنفسهم معاً ليعرفوا "الله العظيم" ويتخلقوا بالفضائل وكريم السجايا التي تزكي النفس والبدن معاً من نبع رسالته العظيمة لهم.

فالقرآن يُزكي النفس الإنسانية في كل لحظة من لحظات الحياة ويهدي الإنسان إلى التعلق بالقدرة الإلهية في نفسه وفي عمله وفي علاقاته بكل ما خلق. وإذا كان ذلك فهو أيضاً يأمره بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء بمثابة أنه أعظم ما يهديه إلى الإيمان والفوز بسلام الدنيا ونعيم الآخرة.

وإذا كانت المعاصرة –في حينها الآني– تبعد عن القرآن، وعلومه وأحكامه وهديه، وبالتالي تعشى من نوره فلا تراه، فإن المؤمن يخرج من نطاق ودائرة "أسفل السافلين" بالتمسك بكتاب الله والعمل الصالح ﴿من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ (الأعراف ١٧٨).

وإذا كان الذين لم يدرسوا كتاب الله في علوم الكون قد انغلق عليهم فكرهم في نطاق أحكام علوم التوحيد والأخلاق والمعاملات. فظنوا أن القرآن لم يشمل من بعد ذلك إلا الهداية الإنسانية بالمواعظ والقصص القرآني، فبعدوا عن حقائق الخلق الكوني والخلق البشري والخلق الحيواني والنباتي ثم أخذ بهم من حولهم، فاصبحوا في خيام فكرهم جاثمين مقهورين أمام المقولات العلمية في الخلق تحت عنوان ملحد هو عنوان "الطبيعة" بدلاً من القدرة الإلهية؛ ثم أخذ بهم مرة أخرى للثورة الصناعية والتقدم المدني المذهل

في كل الصناعات سيما السلاح والصواريخ والتفجير النووي، فقعدوا خائفين من الجهل بالقوة وقهر الملحدين الماديين. ولو أنهم باءوا إلى كتاب الله العظيم لوجدوا علوم الخلق وعلوم تسخير ما خلق وعلوم الوصول بالمنهج الإلهي في التفكر، أنوار الحق تتجلى أمامهم في كل أركان الحياة فكرية وعلمية وعملية من أول خلق الكون وخلق البشر من نطفة إذا تمنى، ولوجدوا كل الهدي الإلهي في التحقق ثم اليقين في كل ذلك. ولوجدوا هداية رب العالمين للإنسان في طعامه وشرابه وبدنه ونفسه وهداية المؤمنين في الوحدة ومن ثم في القوة ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾، ومن الهداية في الأسرة في عدم الخضوع في القول وقرن في بيوتكن وأقمن الصلاة، وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وما كان الجواب على هذا الطهر الاجتماعي إلا الفتح الإلهي من المحيط حتى الصين وإلى أواسط أوروبا وإفريقيا، حتى إذا دخلت أنماط الشعوبية إلى البيوت فخرج النور من الصدور ودخل الغرور والاسترخاء وبرزت الشهوات فقعدوا عن الجهاد في سبيل الله واستمرءوا نعيم الدنيا وزينتها ونسوا سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في العمل وفي كل حركة الحياة فزاغت الأبصار عن الحق وإتباع الهوى ونسوا يوم الحساب. بعد أن نسوا أن القرآن لكل عصر ولكل الناس؟ وفي كل مكان.

الحزام الناري الدخاني حول الكون

فها هو ربنا تبارك وتعالى يقول لنا بالبيان العلمي الواضح ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. يُرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ (الرحمن ٣٣-٣٥).

وهذا هو الحزام الناري الدخاني الذي اكتشفه الصاروخ كوب منذ سنوات قليلة يقول لنا إن الكون يلتف حوله حزام أسود كثيف لمسافة آلاف المليارات يُبين لنا بالمشاهدة الكونية:-

عظمة البيان في تلك الآية الكريمة كما تبين عظمة الخلق الكوني وعظمة القدرة الإلهية في الحفاظ على هذا الكون. وفي كل آن وحين نجد الاكتشافات الكونية تتوالى حتي يعلم الذين عموا عن الحق القرآني العلمي في الكون وفي أنفسهم أن الله هو الحق وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حق وأن القرآن حق في كل آن وحين.

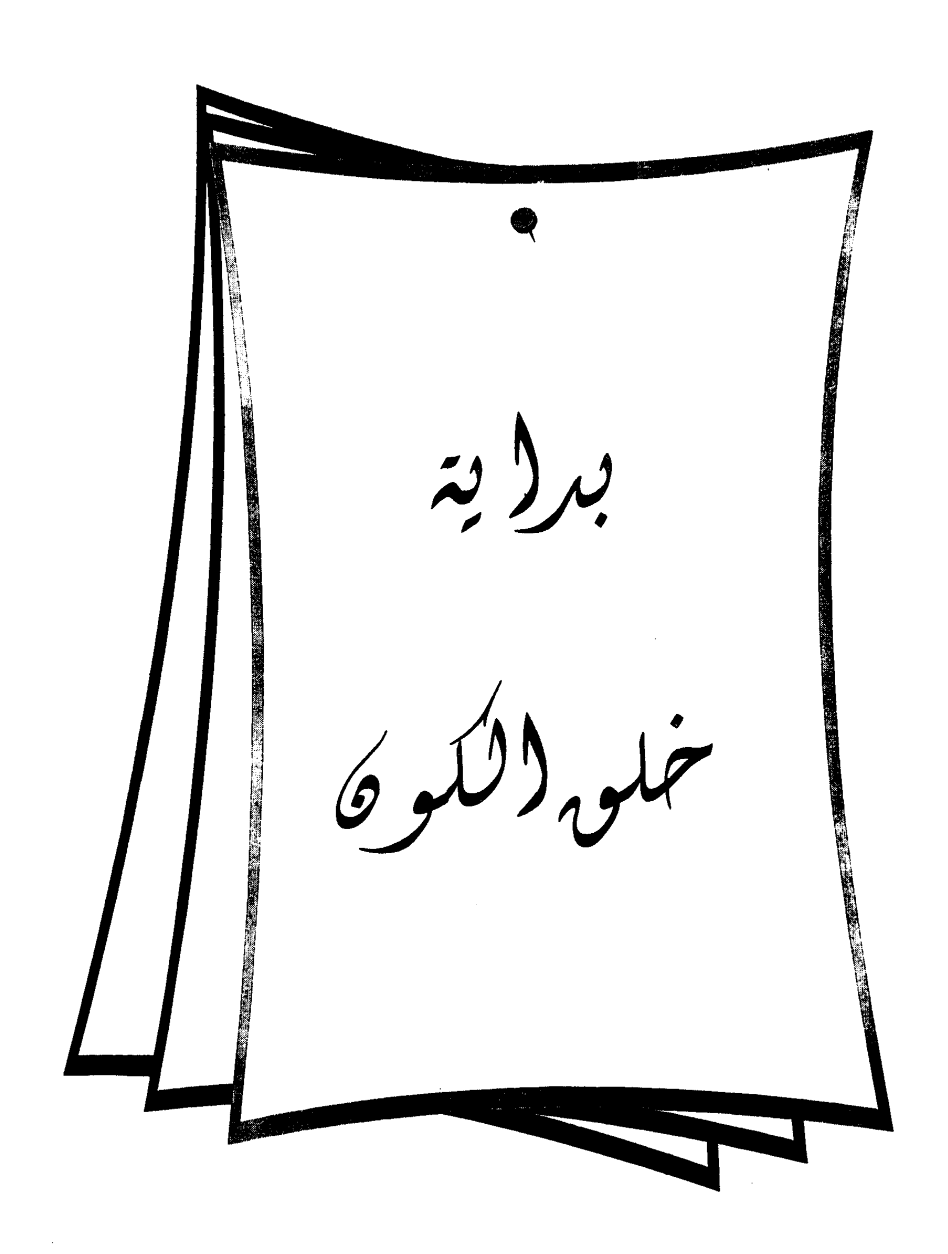
﴿إن جندنا لهم الغالبون﴾ (الصافات ١٧٣)

والذين ينكرون معاصرة القرآن العظيم فليقرءوا قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وليحاولوا أن يتدبروا المعنى إن كانوا حقاً راغبين في الله ورسوله، فإذا عرفوا الله العظيم آمنوا به أحداً صمداً خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

وصلى الله وسلم على رسوله الرحمة للعالمين منذ كان ويكون وما شاء الله رب العالمين فيما كان ويكون.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى
أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾
صدق الله العظيم




بداية
خلق الكون

بداية خلق الكون

وإذاً، فلنعد لرحلتنا وقد ألقينا بكل ما علينا من أكنة النجس العلماني وأفرغنا أفئدتنا وقلوبنا وصدورنا من كل زيغ دخلها أو حاك بها.

ولنسير في طريقنا أحرار الفكر بفقه العقل البشري مع كل شهادة وبعقل كلمات الله التامات مع كل غيب بهدي القرآن والسنة في كليهما.

وإذا كان ذلك، فإن العلم الحق، هو الأرضية الصلبة التي نسير فوقها، وليس الوهم أو الخيال أو الظن أو الاعتقاد.

والعلم الذي نعنيه، هو الحقائق الثابتة التي يشهد لها الواقع المجزوم به. وليس معنى ذلك أننا سنغفل فكر العلمانيين، كلا، ولكن سنشرحه ونشرحه حتى يتبين الغث من الطيب ويفيق المبهورون إلى الصواب، فإذا هم أمام نور الله المبين في قمة القناعة الفكرية والاطمئنان القلبي معاً .. سائرين على خطى كتاب الله العظيم .. تبياناً ربانياً ..

فماذا قال العلمانيون ؟.

تكاد تتفق أغلب نظرياتهم الأولى على أن الكون إنما تكون من مادة قديمة كانت مبعثرة في الفضاء منذ الأزل، حتى أثبت العلم الحديث بوسائل لا تقبل الجدل –هكذا قالوا– أن الأرض لم تكن موجودة من قبل!! وأنها فعلاً بدأ ظهورها منذ نحو ٣ بليون سنة (٣×١٠^٩ سنة) وكانت إذ ذاك في صورة مواد ملتهبة ثم كرة سائلة من شدة الحرارة تحيط بها غلالة كثيفة ثم الهواء وبخار الماء وأبخرة أخرى كثيرة لكثير من المواد والمركبات. وأعقب ذلك أن برد جوها بالإشعاع الحراري فأمكن لسطحها أن يتصلب أو يبدو في

صورة قشرة صلبة لم يستغرق تكوينها وقتاً طويلاً. إلا أن أقدم الصخور يقدر عمرها بما يقرب من ألفي مليون سنة[1].

كان هذا هو الرأي الذي يسود العلمانيين منذ زمن وما زال لحنه في آذانهم ووصفوه بأنه علم حديث ثابت ووسائله لا تقبل الجدل. فهل هذا صدق؟.

إن الإطلاع على دائرة المعارف الأمريكية الصادرة سنة ١٩٧٨ المجلد ٦ الصحيفة ١٠ تقول أن عمر الأرض ٤,٥ بليون سنة.

وذلك لأن المعروف أن أدوات القياس وأجهزته دائماً وستظل أدوات قياس احتمالية والسبب أنها دائماً قاصرة كما أن الإنسان الذي يستعملها إنسان بطبيعة خلقه قاصر، ووجه قصوره أن إدراكاته محدودة. ومن ثم فإن كل ما يحصل عليه من أقيسة لابد وأن تكون غير كاملة وبالتالي تجيء قياساتها إحتمالية، عمل يشوبه الشك، ومن ثم قال العلماء أن الاحتمال يزيل اليقين.

لهذا ..

فإذا كانت دوائر المعارف تقرر أن عمر الأرض كان ٢ بليون سنة ثم تعود فتقرر – بعد ١٨ سنة فقط – أنه ٤,٥ بليون سنة، فإنه على كل ذي بصيرة أن يتوقع زيادة في الأرقام بزيادة أجهزة الرصد والقياس دقة وتقدماً.

فأين نحن إذا من الحقائق الثابتة؟

إن العاقل الرشيد لا ينظر إلى هذه الأرقام إلا على أنها محاولات وسعي للكشف وليس وصولاً إلى مطلق الحق – وإنما سير على الطريق.

---

(١) قصة السماوات والأرض للدكتور محمد جمال الدين الفندي والدكتور محمد يوسف حسن.

النظريات الأولى

ويحكي العلماء المحدثون:

أن الكون قبل وجوده كان فضاء فسيحاً ينتشر فيه غاز خفيف رقيق أشبه ما يكون بالدخان غير المرئي من فرط خفته، هذا الغاز هو الأيدروجين، وأنه يوجد منه نحو ذرة واحدة في كل فراغ يبلغ حجمه علبة الكبريت.

السديم

ويمكننا أن نجزم –هكذا يقولون دائماً– أن كوننا بدأ في صورة سحابة هائلة أو سديم من دخان أشبه ما يكون بالقرص الضخم، وأنه لما انقشع الغاز عن بعض الأجزاء وتراكم في بؤرات خاصة ولدت النجوم . فشمسنا مثلاً تتكون من ٩٩% من غاز الأيدروجين ورماده غاز الهيليوم. فالأيدروجين هو المادة الأساسية التي بنى منها الكون ... ومعنى ذلك أن الكون بدأ في صورة غاز الأيدروجين، أما العناصر الأخرى فتولدت بعد ذلك تحت ظروف خاصة: مثل تحول الهيليوم وتكاثفه ذرياً إلى عناصر ثقيلة داخل النجوم. وقد وجد أن ذرة الأيدروجين توجد بمعدل ألف ذرة لكل ذرة واحدة من ذرات مواد الكون الأخرى مجتمعة.

النجوم

أما النجوم

فإنها تتكون من تجمع غاز الأيدروجين في هيئة سحب بفعل الجاذبية وبتضاغط الغاز تزداد الحرارة وترتفع فيولد النجم. وعندما تبلغ الحرارة حداً عظيماً تبدأ الطاقة في التولد داخل النجم فيأخذ الأيدروجين في التحول

تدريجياً إلى هيليوم بتأثير الحرارة العالية جداً ويبدأ في إشعاع طاقته وعندما تتعادل كميات الطاقة التي يشعلها سطح النجم مع الكميات التي تتولد في داخله بفعل تحطيم ذرات **الأيدروجين تقف عملية تقلص النجم أو تضاغطه** ويصبح بذلك نجماً عادياً مثل الشمس على وجه التقرب (هذا قولهم).

الأرض

فيقول بعض العلماء المحدثين بأنه كان هناك نجم براق (أي كبير هرم) تصل درجة حرارته داخله نحو ٣٠٠ ضعف لدرجة الحرارة في مركز الشمس الذي هو ١٣ بليون درجة يتبع الشمس. وأنه قد انفجر، ومن نتائج انفجاره تكونت كواكب المجموعة الشمسية ومنها الأرض.

ويفسرون كيفية تفجر النجم البراق بأنه عندما يستنفد جميع الأيدروجين الذي فيه تقف عمليات التفجير الذري بداخله وتنقطع بذلك إمدادات الطاقة فيه. وإنما يكون هناك انبعاث للطاقة من المركز إلى السطح حيث تفقد بالإشعاع. والنتيجة الطبيعية لذلك هي أن يتداعى النجم من الداخل و ينهار على نفسه وتتضاغط مكوناته وترتفع درجة الحرارة فتصل حداً يفوق الخيال ويساعد الضغط العالي والحرارة المرتفعة على نشاط التفاعلات الذرية داخل النجم المتداعي ويتحول الهيليوم إلى عناصر ثقيلة، وكلما انكمش النجم البراق زادت سرعة دورانه حول نفسه فتزداد قوة الطرد المركزية فتعمل على عدم تماسك أجزائه ومن ثم يحدث الانفجار وتنطلق مكوناته في الفضاء. ويقول هؤلاء العلماء أن هذا هو ملخص مجرى الحوادث التي مرت بأم الأرض والكواكب السيارة (النجم البراق) قبل انفجاره واندثار معالمه الأصلية.

وقد قدر بالحساب أن الكثافة عند المركز -مركز النجم البراق- بلغت بسبب عظم الضغط حداً بحيث أن حجم علبة الكبريت العادية تبلغ كتلتها[1] عند مركز النجم المتداعي نحو ألف مليون طن. كما أن سطح النجم بعد تداعيه تصل سرعة دورانه حول محوره ١٠٠ مليون ميل في الساعة ويبلغ الانفجار من الشدة حتى يتم في فترة لا تزيد عن دقيقة واحدة.

ثم يقول بعض العلمانيين: (لاحظ أنه قول معارض لقول العلمانيين السابق).

وبديهي أن الأرض كانت من نتائج انفجار ذلك النجم. وقد استغرق ظهورها واكتمال كيانها من مخلفات الانفجار نحو ألف مليون سنة.

وفي المتوسط ينفجر في طريق التبانة (المجرة التي نراها ليلاً) نجم براق كل ٢٠٠-٣٠٠ سنة ولابد أنه قد تم انفجار نحو عشرة ملايين نجم براق في مجرتنا منذ ظهور أقدم النجوم بها أي منذ ٤ آلاف مليون سنة. وبالتالي فتوجد في مجرتنا عدة ملايين من المجموعات مثل مجموعة الكواكب السيارة لشمسنا[2].

ولأن غاز الأيدروجين يملأ الكون فقد تكونت مجرات كثيرة مثل المجرة التي نحن فيها، وأن هذه المجرات تتباعد عن بعضها بسرعة عظيمة وبذلك يزداد حجم الكون أو يتمدد على قول أينشتين مستدلين بالزحزحة

---

(١) الصحيح أن يقال "ثقلها" لأن الكتلة هي مقدار المادة التي في الشيء.

(٢) المرجع السابق.

الحمراء لأدوين هبل[1]. وأن سرعة هذه المجرات تزداد حتى تزيد على سرعة الضوء فتدخل في الكون غير المرئي.

ويتساءل العلمانيون: أن مادة الكون الأولى هي الأيدروجين، فمن أين يأتي؟ ويجيبون: يلوح أنها لا تأتي من مكان معين وإنما تخلق خلقاً .. فأحياناً لا توجد ذرات الأيدروجين وبعد ذلك تظهر.

وبرغم أن العلم الطبيعي (يقصدون العلم اللاديني أي العلماني) لا يعرف معنى الخلق من العدم؛ إلا أن فكرة الخلق نفسها يجب أن نعترف بها، لأنه لا يمكن تجنبها؟!

وإذا قلنا أن غاز الأيدروجين توقف منذ القدم لأنه تكدس في المجرات التي تعد بآلاف الملايين وأنه يتحول في النجوم إلى رماد الهيليوم وإلى عناصر أخرى، وأن هذه السلسلة غير تراجعية.

فإن بقاء الأيدروجين منتشر في فراغ الكون -أي بين المجرات- حتى الآن دليل على أن مادته في تجدد مستمر أو في خلق مستمر، ولهذا السبب نفسه يبقى متوسط كثافة غاز الأيدروجين ثابت في الفضاء.

ومعدل خلق الأيدروجين بطيء جداً ويقدر بنحو ذرة واحدة في العام داخل فراغ يعادل حجم بهو كبير !! وإذا كان هذا المعدل لا يمكن قياسه إلا أنه يمكن حسابه رياضياً فتبلغ كمية (العنصر) المخلوقة نحو ١٠٠ مليون مليون مليون مليون طن في الثانية الواحدة!!

---

(١) رسالة اليونسكو العدد ٢٨٠ سبتمبر سنة ١٩٨٤.

وتسبب هذه المادة الجديدة من الضغط والحركة في الكون ما يدفعه إلى التمدد. وما يجعل المجرات تتباعد، لأن مجرات أخرى كثيرة تتشأ وتتكون وتدور بسرعة حول نفسها وتبعد بسرعة إلى حيث لا يدري أحد[١].

وإذا كانت هذه البداية هي ما يثور لدى بعض العلمانيين بعد ما قاله السابقون منهم وأشهرهم "بفون" و"لابلاس" من أن الأرض وسائر المجموعات الشمسية هي بنات الشمس حين تطاير منها بعض أجزائها فأصبحت كواكباً نراها.

إلا أنه كما نرى من استعراض هذه الأفكار العلمانية، فإنها جميعاً تشترك في أساس هام هو أن السديم بكل نجومه وجد أولاً ومن أحد هذه النجوم الشمس أو نجم فوق البراق ولدت الأرض وسائل الكواكب السيارة.

وإذا كان ذلك ..

فإن ثمة أصل هام يجب بيانه وإضافته إلى هذا الأساس.

وهذا الأصل الهام هو:

ماذا كانت البداية الكونية؟

اختلف العلمانيون ..

فريق يؤيد أينشتين، وفريق علماء فيزيقا الجسيمات.

تبدأ القصة باثنين من الكتاب الأدباء رأيا أن الكون كان نواة ضئيلة جداً انفجرت فكان منها هذا الكون.

---

(١) "قصة السماوات والأرض" وكتاب "مع الله في السماء" للدكتور أحمد زكي، بتصرف.

ولا نشك لحظة في أن الذي هيأ لهذين الأديبين هذه الصورة، هو دافع الحياة من حولهما، فهما يريان الإنسان أصله نطفة لا ترى إلا بالمجهر، والشجرة الهائلة من بذرة صغيرة جداً .. وهكذا جاء خيالهما للكون في بدايته ..

نظرية الانفجار العظيم

ولم يمض طويلاً بعلماء فيزيقا الجسيمات، حتى قال جاموا[١] أن أصل الكون كان جسيماً متناهياً في الصغر (أي صغير جداً) يضم كل ما يضمنه كوننا الحالي من كتلة وطاقة معبأتين في حيز لا يزيد على حجم البروتون قد انفجر لينتج شيئاً يشبه الكون الذي نراه اليوم.

ثم يقولون! والحق أننا لا نستطيع أن نعود إلى لحظة الوجود حينما كان الكون متناهي الكثافة (أي لا كثافة له تذكر) متناهي الطاقة ويحتل نقطة رياضية حجمها صفر!!.

فما هي القصة بالتفصيل؟.

أو بأسلوب آخر: ما هي فكرة الانفجار العظيم وفرقعته الكبرى؟.

قبل الإجابة على هذا السؤال وحكاية هذه القصة ..

نود أن نذكر، أن الكاتبين الأديبين ومن ورائهما علماء فيزيقا الجسيمات قد نسوا أصلاً هامّا؛ ألا وهو أن النطفة والبذرة، كلاهما قبل أن تكون الأولى إنساناً والثانية شجرة ضخمة، قد وضعت في جسم أكبر حجماً

---

(١) عالم روسي قال بنظرية الانفجار العظيم في رسالته للحصول على درجة الدكتوراه ١٩٣٥.

وكتلة من حجمها وكتلتها مليارات مليارات المرات، أخذت منه وتغذت حتى كبرت وصارت إنساناً وشجرة !..

فالنطفة لم تصبح إنساناً من فراغ.

والبذرة لم تصبح شجرة من خواء.

ولنعد الآن إلى العلمانيين الذين نسوا ربهم فنسوا أصلهم وأصل الكون، لنرى معاً تفكيرهم، وما أوردناه إلا لنُري الإنسان المؤمن، كم من هراء يقال عن الخلق، طالما أنه يقال في غير كلمات الله التامات جل جلاله.

يقول علماء فيزيقا الجسيمات:

أنه عندما ولد الكون بالانفجار العظيم من البروتون الصغير الذي كان ساخناً جداً مفعماً –أي مليئاً بالطاقة – أي الحرارة– والمادة على السواء!! فلما تمدد الفضاء تمدد الإشعاع أيضاً بحيث ظل الفضاء باستمرار مليئاً بهذه الطاقة الكهرومغناطيسية. على أنه كلما كبر حجم الفضاء قل تركيز الطاقة ونقصت كثافتها وانخفضت درجة الحرارة بالتالي.

ثم يقولون ..

والحق أن درجة حرارة إشعاع الأساس اليوم هي الدرجة المناظرة تماماً لمقدار التمدد الذي لابد قد حدث منذ الانفجار العظيم وفرقعته الكبرى.

وليس هناك أي تفسير جدي آخر لاكتشاف "بنزياس وويلسون" صدى هذا الانفجار العظيم، اللذين استنتجاه من معادلات "ب. ج. أ. بيبلز" من مقولته: إذا كان الكون قد نشأ عن انفجار عظيم فلابد أن تكون هناك كميات هائلة من الإشعاع لمنع جميع الجسيمات الشديدة التضام من الاندماج معاً لتكوين عناصر ثقيلة ولترك كميات من غازي الأيدروجين والهيليوم تكفي

لتكوين نجوم الكون ومجراته كما نعرفها اليوم، ومع تمدد الكون برد الإشعاع، فهو لا يزال ينفذ في الكون، وإن كان على صورة أضعف وأقل تركيزاً.

ورجح "بيبلز" أن الإشعاع لابد قد غدا في الوقت الراهن إشعاعاً درجة حرارته أعلى ببضع درجات من الصفر المطلق على تدرج كلفن.

ومن هنا ..

كان اكتشاف "بنزياس وويلسون" لأصل الأزيز اللاسلكي الذي سمعاه سنة ١٩٦٤، فقررا أن هذا الإشعاع الكوني الذي يملأ الفضاء الكوني بأسره، هو الذي يحدث هذا الأزيز اللاسلكي الذي ما هو في الحقيقة إلا صدى بعيداً لفرقعة الانفجار العظيم!!.

وفي سنة ١٩٧٨، منح "بنزياس وويلسون" جائزة نوبل عن اكتشافهما العظيم!!!؟

ويفسر علماء فيزيقا الجسيمات فكرة وجود الكون نتيجة الانفجار العظيم فيقولون:

أن هذا البروتون المتناهي الكثافة والكتلة والذي من فرط صغره لا يرى بالمناظير المكبرة ؟!، قد انفجر فأحدث فرقعة كبرى فنشأ في لحظتها كرة هائلة من النيران ودرجات حرارة عالية جداً فوجدت جسيمات سينية فائقة الوزن (أي كبيرة الوزن جداً) تتحل إلى جسيمات أقل وزناً، وبانحلالها هذا أنتجت خليطاً غير متكافئ من المادة (باريونات) والمادة المضادة (باريونات مضادة). وبعد مجرد زمن يساوي ١٠$^{-٣٥}$ من الثانية من حدوث هذا الانفجار العظيم انخفضت درجة الحرارة إلى مستوى استحال في الكون

المتمدد قدر بالغ الضآلة من عدم التماثل (باريون غير مزدوج لكل ألف مليون زوج مكون من باريون وباريون مضاد).

وهذه الزيادة الطفيفة للمادة على المادة المضادة التي أنتجت لحظة الفرقعة الكبرى للانفجار العظيم كانت كافية لإنتاج جميع النجوم في المجرات وجميع الذرات في أجسامنا.

ومن ثم ...

فقد كان اكتشاف "بنزياس وويلسون" للأزيز اللاسلكي وقولهم بأنه صدى الانفجار العظيم، بمثابة التصديق على شهادة بصحة فكرة علماء فيزيقا الجسيمات، وبالتالي استحقا جائزة نوبل.

ولكن التجارب العلمية لا تقف عند حد، لأنه كما قلنا آنفاً، أن أدوات وأجهزة القياس، ليست إلى الحد الذي يقيس الأشياء بحقيقتها كاملة أو دائماً على وجهها الصحيح، كما أن الإنسان قاصر الإدراك، ومن ثم تجيء جميع القياسات احتمالية أو تقريبية على أحسن الأحوال.

وإذا كان هذا ..

فإن القاعدة أيضاً أن الباطل كالزبد يذهب جفاء ..

فسرعان ما تبين للعلماء بعد البحث الدائب أن إشعاع الموجات الدقيقة – الذي اكتشفه "بنزياس وويلسون" المقول بأنه صدى الانفجار العظيم، ربما يكون شكلاً متجدداً أو معاداً لإشعاع آخر صادر أساساً من النجوم. فبوسع حبيبات الغبار الكوني أي الموجود في فضاء ما بين المجرات ولو بكميات متواضعة جداً، أن تقوم بهذا التجديد أو الإعادة ..

كما وجه فريق العلماء المنتقدين انتقادات أخرى أهمها: لماذا يتسم الكون على الرغم من كبر سنه ($١٠^{١٠}$ سنة) بمثل هذا المتوسط العالي لكثافة الطاقة؟ وكيف تعلل ما يبدو من وجود المادة بكميات أكبر كثيراً من المادة المضادة؟ وكيف تحدث تقلبات الكثافة التي تعمل في نهاية المطاف بمثابة البذور التي تنشأ منها المجرات وغيرها من الأجرام التي تشاهد في الكون؟.

وأخيراً أثبتت رحلات الفضاء أن النظام الشمسي كله مصنوع من المادة لا من المادة المضادة.

ومن ثم ..

قال العلماء أن نظرية الانفجار العظيم قد ضعفت، بل أن بعض العلماء يؤكدون أن المشكلة الكونية ما زالت بعيدة عن الحل في الوقت الراهن.

وأخيراً .. فإن علماء الجسيمات أصبحوا يضحكون من هذه النظرية والتي شغلت أفكارهم وأبحاثهم على مدى عشرات كثيرة من السنين (حوالي ٧٠ سنة)[١].

---

(١) ثبت لدى علماء الذرة أن هذه النظرية لا صلة لها إطلاقاً بحقيقة علوم الذرة وأذيع ذلك في التليفزيون المصري في ٢٠٠٤/٩؛ والحمد لله فإن المؤلف أثبت ذلك عام ١٩٨٦ تاريخ نشر أول طبعة من هذا الكتاب ؟!!.

آينشتين والنسبية

وحين قيل بفكرة الانفجار العظيم، كان "آينشتين" مازال على قيد الحياة؛ فعقب عليها بقوله:

أن المتصل المكاني الزماني والمادة لا يمكن فصلهما، ومن ثم فلم يوجد الانفجار العظيم المادة فحسب بل المتصل المكاني الزماني أيضاً. ومؤدى ذلك أنه لم يكن هناك شيء، ولا حتى الفضاء الخالي في "الخارج" يمكن للانفجار العظيم أن يحدث فيه ..

أي أن آينشتين صاحب فكرة أن الحركة لا توجد إلا إذا وجد المكان والزمان، ذلك بأن الحركة عنده علاقة بين مكانين والزمن علاقة بين حركتين، فلكي توجد الحركة لابد من وجود المكان والزمان. وهذا معنى المتصل المكاني الزماني. فإن آينشتين يرى أنه لم يكن ثمة مكان ولا زمان -حسب فكرة الانفجار العظيم- لكي يحدث الانفجار، وإذا فهو أمر أو فكر غير صحيح، أما القول بأن الانفجار العظيم أوجد المكان والزمان، فهو قلب للأمور فضلاً عن أن الانفجار العظيم حركة ضخمة ومن ثم احتاجت مكاناً كبيراً فكيف حدثت بله أوجدته ولم يك شيئاً!!.

لذلك رفض آينشتين نظرية الانفجار العظيم لتناقضها مع أساس نظريته "النسبة العامة" وهو المتصل المكاني الزماني.

وإذا كان علماء فيزيقا الجسيمات قد رفضوا قول آينشتين بدعوى أنه ليس متخصصاً؛

إلا أن آينشتين لم يكن من الذين ينتقدون دون فكر ونظر، فهو الذي نظر في الكون وقال أن أصله "الحالة المتفردة" أي مادة واحدة وهذه المادة

لا نهائية الحجم لا نهائية الكثافة، أي مادة ضخمة الكتلة ضخمة الحجم أكبر من أن نعرف لها حداً، أيْ عكس أصحاب نظرية الانفجار العظيم على طول الخط.

وقد وضع آينشتين معادلات رياضية للمتصل المكاني الزماني فتبين له أنها لا تجعله استاتيكياً لا يتغير كما كان يظن وإنما نجعله يتمدد وآخذ في الكبر، عمد إلى تصحيح معادلاتــه بإدخــال حــد جديــد أســماه "الثابــت الكوزمولوجي" ليلغي التمدد ويعيد الاستقرار. وكان هذا خطا قاتل لأنه ثبــت بالمشاهدة البصرية المادية أن الكون دائم الكبر والاتساع.

لذلك قال بعض الأساتذة المسلمين أن قول الله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات ٤٧)

آية مذهلة تشمل علوم الطبيعة والفلك جميعاً[١].

وفي سنة ١٩٢٢ كان العالم الروسي ألكساندر فريدمان قــد صــقل معادلات آينشتين في مجموعة قياسية أطلق عليها "نماذج فريدمان" هي أساس فهم الكون لدى العلمانيين حتى اليوم وتبدأ إحدى هذه النماذج بأن الكون بــدأ من حالة متفردة – حالة من الكثافة اللانهائية – وتمددت إلى حــالات أقــل كثافة. وأن الفضاء يتحدب تبعاً لكمية المادة في الكــون وأن شــكل الكــون كروي.

---

(١) الدكتور مخمد جمال الدين الفندي والدكتور محمد يوسف حسن في "قصة الســماوات والأرض".

وباكتشاف المناظير المكبرة الضخمة رأى الفلكيون ملايين المجرات مثل مجرة التبانة التي نراها ليلاً في السماء، وكان لاكتشاف العالم الفلكي "أدوين هبل" أن المجرات البعيدة تظهر في ضوئها زحزحة حمراء مطردة وأن هذه الزحزحة الحمراء تتناسب طردياً مع بعد كل مجرة عنا، وهو بالضبط ما تنبأت به نماذج آينشتين وفريدمان.

ومعنى ذلك أن المجرات تبعد عنا بقدر ما نبعد عنها، وهذا يعني أن الفضاء كالبالونة ويتمدد كما تتمدد البالونة عندما تنفخ، فالمجرات لا تتحرك ولكن الفضاء الذي به المجرات هو الذي يتمدد فتبعد المجرات بعضها عن البعض وإن كان الناظر إليها يراها وكأنها تجري ...

ومع ذلك فإن علماء فيزيقا الجسيمات الذين يصفون آينشتين بأنه غ ير متخصص، مازالوا يبحثون بإصرار عن أدلة بداية الكون في بروتون صغير جداً لا يرى يحوي كل مادة الكون كتلة وكثافة !! انفجر فأحدث فرقعة كبرى ومنه وجد الكون كله[1].

---

(١) رسالة اليونسكو العدد ٢٨٠ سبتمبر سنة ١٩٨٤ ومجلة **IMPACT** "العلم والمجتمع" صادرة عن اليونسكو عن عصر آينشتين العدد ٣٥ في أغسطس ١٩٧٩.

كلمة أخيرة

في هذه الصفحات ...

بينا كافة نظريات وأفكار العلمانيين عن بداية وجود الكون بإيجاز شديد؛ والعنصر الذي منه كان ذلك أو الحالة المتفردة التي منها الكون!.. والتي ظل أينشتين طوال الثلاثين سنة الأخيرة من عمره يبحث عنها في محاولات غير ناجحة لوضع نظرية بسيطة نهائية تفسر وجود المادة كلها والطاقة كلها وجميع القوى في الكون.

وإذا كان لنا أن نعقب على ذلك بإيجاز فإننا نلاحظ أن جميع هذه النظريات العلمانية قد استعصى عليها أن تفسر سبب وكيف وجود الأكسجين والماء والبذور في الكون أو على الأرض ؟!

وإذا كان العلمانيون قد قالوا بفكرة لتفسير سبب نشأة المجرات في الكون، إلا أنهم لم يذكروا السبب الذي يجعل هذا يتم دائماً بجوار مجرة سكة التبانة التي نراها بوضوح ثم تدور وتسير بسرعة تزيد على سرعة الضوء لتختفي في عالم الغيب.

كما أنهم لم يذكروا سبب تصلب قشرة الأرض مع أن الشمس وهي أقدم منها – في قولهم – لم تتصلب بعد، بل مازالت في عمر الشباب وسلسلة هرم النجوم وتصلبها ثم انفجارها تشمل نجوم الكون كله: في حين أن قولهم هو أن الأرض بنت الشمس أو نجماً براقاً كان قريناً للشمس: وذلك يعني أن الشمس كانت موجودة قبل وجود الأرض على أي من الفرضين؟!

فكيف تصلبت قشرة الأرض وكانت ناراً وبقيت الشمس ناراً حتى الآن وهي من قبل الأرض كما يدعون!!.

أما أن الكون أصله "الحالة المتفردة" فلم يفصح عـن نوعيـة هـذه "الحالة" ! مع أن الثابت أن الكون أصله غاز الأيدروجين أي عنصر ولـيس مادة. كما أنه لم يبين طريقة الخلق ولا ترتيبها ولا سبب وجـود المـاء ولا الأكسجين والبذور ؟!.

وإذا كانت نماذج فريدمان قد حققها ما رآه هبل إلا أن المشـاهدات البصرية ليست يقيناً طالما أنها كونية وطالما كانت الرؤية من الأرض فكيف يكون اليقين بحركة الأجرام في الفضاء الكوني.

وآينشتين والعلمانيون متأكدون من أن الحركة لكي تعرف لابد مـن إسنادها إلى ثابت أو متحرك بسرعة مختلفة، والأرض -عنـدهم- تجـري وليست جامدة.

ومن ثم فإن القول بها لا يرقى إلى درجـة الاحتمـال فمـا بالنـا باليقين...

أما القول بأن الكون من "نواة" تضم كل كتلة الكون وكثافته، فيكفـي أن نرد عليهم بنفس مقولتهم: كيف لا تكون لهذه النواة كتلة تذكر أو كثافـة تذكر ثم تضم كل كتلة الكون وكل كثافته؟!.

إن المنطق العقلي الذي يعقل الماديات يرفض أن ينساق وراء هـذا الخرف مهما كان شأن القائلين به.

ولما كانت هذه النظريات والأفكار غير ثابتة ودائمة التغيير والتبديل، كما أنها بغير واقع يشهد لها بل الواقع الكوني يرفضها.

فهي إذاً ليست علماً أي ليست حقاً.

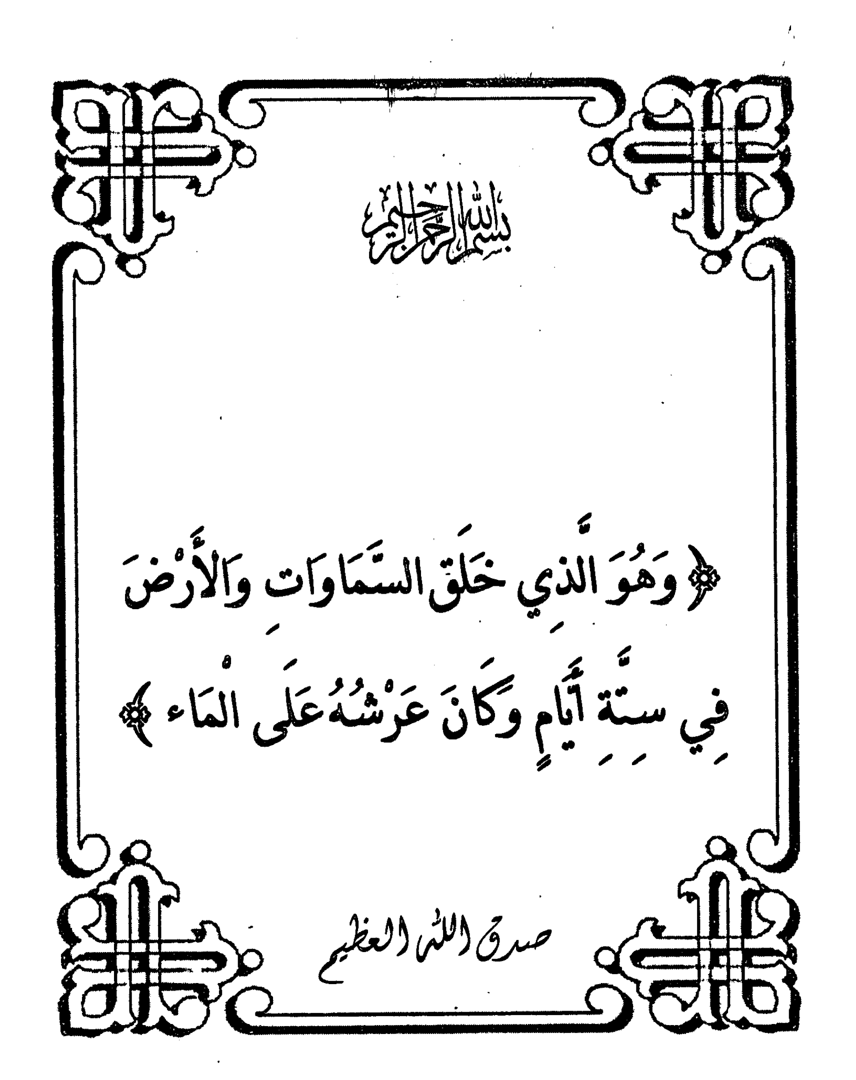
وبالتالي تفقد كل أساس يمكن أن تدعيه.

وإذا كنا نختم هذه الفقرة من الرحلة في أعماق الكون بكلمة ..

فلا نجد خيراً مما قاله آينشتين نفسه في ختام حياته من أن العلم عاجز عن رؤية البداية والنهاية قاصر عن فهم ماهية أي شيء. وكل ما يستطيعه العلم هو أن يقيس الكميات ويبحث عن العلاقات التي تربطها والقوانين التي تجمعها في شمل واحد.

لذلك نظر إلى الكون برهبة وتركه لرجال الفلسفة والدين[1].

(١) كتاب "آينشتين والنسبية" للدكتور مصطفى محمود.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾

صدق الله العظيم


مادة الكون

مادة الكون

كان الإعداد لهذه المرحلة، شاقاً وبه عنت، شأن الإعداد لأي رحلة فيه معارضة عقيمة.

فإذا ما انتهى الإعداد، انتهت المشاق والمتاعب، وبدأنا السير في الطريق بيسر لا نلوي على شيء إلا الوصول إلى هدفنا.

فإذا كان الهدف معروف ..

كان السير في الطريق، سعياً متواصلاً، في السبيل الصحيح.

وهدفنا في هذه المرحلة ..

هو معرفة أمرين:

الأول : كيف خلق الكون ؟.

الثاني: ترتيب وقائع هذا الخلق.

ومن ثم ...

نصل إلى حجر الأساس الصحيح لعلوم الطبيعة.

ففي فجر يوم مبارك، دخل بلال رضي الله عنه وأرضاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي حتى تساقط الدمع من لحيته الشريفة، قال بلال: علام تبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فبماذا أجاب الرسول؟

نحكي القصة من أولها:

فلقد صار الناس من بعد الرسول وقد غاب عنهم، يستجمعون حياته وكأنهم بذلك يرفضون رحيله عنهم، يريدون بما يسمعوه عنه صلى الله عليه وسلم أن يبقوا معه ويظلوا في صحبته.

وأخرج ابن مردويه بسنده عن عطاء قال: انطلقت أنا وابـن عمـر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها، فدخلنا عليهـا وبيننا وبينها حجاب، فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا، قال قول الشاعر: زرغبا تزدد حباً. فقال ابن عمر: ذرينا أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت وقالت كل أمره كان عجباً أتاني فـي ليلتـي حتى مس جلده جلدي ثم قال (ذريني أتعبد لربي عز وجل) قالت: فقلت والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثـر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، قالـت فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ومـا تـأخر، فقال: (ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله على في هذه الليلـة ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾، ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)[1].

والعبرة من التفكر في خلق الكون ، هي المعرفة بالله سبحانه وأنـه الخالق وأن بيده مقاليد السماوات والأرض، ومن ثم يكون الإيمان بالله العظيم

(١) تفسير ابن كثير جـ١/٤٤٠ وصفوة التفاسير جـ١/٢٥٥ ورواه البخاري ومسلم عن ابن عباس كما رواه أبوداود والنسائي من طرق أخرى.

مبنياً على يقين الحق فيكون الإيمان بالله ثابتاً بالقلب يملأ على الإنسان جماع قلبه وفؤاده وسمعه وبصره، فإذا هو في سبيل الله لا يثنيه عن ذلك شيء.

وإذا كان قدامى العرب لم يتفكروا في ذلك تطبيقياً أي بعلوم الطبيعة، فذلك لأن هذه العلوم لم يكن الله قد أذن بالكشف عنها في حينهم.

أما الفلاسفة منهم فقد تفكروا في خلق السماوات والأرض، فالكندي قال بالخلق ووصفه بأنه "إبداع" أي خلق شيء ولم يكن له مثيل من قبل.

والفارابي قال بنظرية "الفيض" فأنكرها المسلمون لأنها تتناقض مع الإرادة الإلهية، وابن سنا لم يختلف كثيراً عن الفارابي.

أما ابن رشد فبعد أن تبع أرسطو في أفكاره، عاد وقال بأن الخلق محدث واستدل على ذلك بآية هود السابعة، وقال أن هذا يستلزم وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء.

والآن، تقدمت البحوث المادية، فأظهرت عناصر المواد ووصلت إلى دقائق هذه العناصر أي الذرة ثم وصل البحث إلى معرفة ما في الذرة من دقائق الجسيمات.

فإذا بنا أمام مادة "الماء" نعلم أنها تتكون من عنصرين أحدهما تتكون ذرته من بروتون واحد والكترون واحد، فثبت أنها أصغر ذرة في الوجود.

والخالق العظيم

عظيم في كل فعله

فهو سبحانه يخلق الإنسان من ذرة هي في مقام الخلق "نطفة" فإذا هو إنسان ضخم سميع بصير مدرك.

وكذلك فإنه سبحانه من ذرات أحد عنصري الماء وهي أصغر ذرة في الوجود يخلق هذا الكون الضخم.

فما هي القصة، قصة الخلق؟.

أخبرنا الخالق العظيم عن "البداية" التي تهم البشر حتى يؤمنوا به تبارك وتعالى ..

فقال جل من قائل:

﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ (هود ٧)

فأثبت سبحانه أن حقائق هذه الآية تنحصر في النقاط التالية:

الأولى : أن الله تبارك وتعالى هو وحده الخالق لأن "هو" تفيد الحصر.

والثانية : أن الله تبارك وتعالى خلق السماوات والأرض.

والثالثة : أن الخلق تم في مدة محددة هي ستة أيام.

والرابعة : أن قبل خلق السماوات والأرض كان "الماء".

والخامسة: أن عرشه المجيد كان على هذا "الماء".

وكان تعني عد ما قبله وجود فلا وجود للماء الآن تحت العرش.

فقال جل من قائل:

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (الأنبياء ٣٠).

فأثبت أن "كل شيء حي" من "الماء".

وإذاً فعلينا أن نثبت أن كلاً من السماوات والأرض شيء حي حتى يكون الطريق واضحاً لنا فتدخل السماوات والأرض فيما تشمله الآية الكريمة.

يقول ربنا سبحانه أن السماوات والأرض تسمع وتعي وتعقل وتفهم وتتكلم وتتصرف وذلك بحسب خلق الله فيها فهو ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه)، فقال سبحانه بعد أن خلق الأرض وخلق ما فيها ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (فصلت ١١)، فدلت الآية الكريمة على أن الله وجه قولاً إلى السماوات والأرض في صيغة أمر هو "ائتيا" فسمعتا الأمر وفهمتا مضمونه ومطلوبه واختارتا تنفيذه فأجابتا بالقول "أتينا طائعين"(١).

والسماوات والأرض تشعران وتنفعلان؛ فقال سبحانه : ﴿فما بكت عليهم السماوات والأرض﴾ (الدخان ٢٩). إذاً فالسماوات والأرض جرمان يشعران بما حولهما وما فيهما وما عليهما ويريانه ويسمعانه ويعقلانه ويتأثران بالحزن حتى البكاء، والذي يحزن فيبكي يعرف السرور والفرح.

وإذا فالسماوات والأرض أجرام "حية" بالمعنى المفهوم لكلمة "الحياة".

---

(١) تقول بعض التفاسير أن ذلك على وجه التمثيل – مع أنه لا توجد في كلمات الآية أية حروف أو كلمات تدل بمنطق اللغة على التمثيل والغيب يفسر بقواعد اللغة ومنطقها في الكلمات. كما أن القرآن حق والتمثيل ليس حقاً.

ومن ثم ..

فإن قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ إنما يضم ويشمل السماوات والأرض ..

وإذاً فالسماوات والأرض خلقتا "من الماء" الذي كان موجوداً تحت العرش. وليس له وجود الآن.

فما هو "الماء" الذي ورد في الآية ٧ هود و٣٠ الأنبياء. أي هل "الماء"الذي كان العرش المجيد عليه؛ هو هو "الماء" الذي خلق منه"كل شيء حي" ؟.

"الماء" الذي كان عليه العرش المجيد اسمه في القرآن العظيم "الماء" كما أن "الماء" الذي ورد في آية الأنبياء اسمه أيضاً "الماء" . وإذاً فالماء في هاتين الآيتين هو "الماء" الذي نعرفه وليس شيئاً آخر أو نوعاً آخر. ذلك بأن الله سبحانه أخبرنا أنه أنزل القرآن باللغة العربية ﴿لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ٢) أي بمعاني الكلمات" في اللغة العربية التي تعرفونها وعلى هذا أصول التفسير. ومادة "الماء" الموجودة لدينا والتي نعرفها ونطلق عليها اسم "الماء" هي الماء المعروف لكل إنسان والذي أثبت البحث المعملي أنه يتكون من عنصري الأيدروجين والأكسجين ..

ومن ثم ..

فإن "الماء" الذي نعرفه الموجود في الأنهار والبحار هو "المادة" التي خلق منها كل شيء حي والتي منها السماوات والأرض. وإذاً فهي الحقيقة التي أفصح عنها القرآن العظيم بكل الوضوح المبين.

والتدقيق وإمعان النظر

يتطلب منا أن نلاحظ أن الخالق العظيم قال "من الماء" ولم يقل: جعلنا الماء كل شيء حي. وإنما قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وكلمة "من" في قواعد الاستدلال تفيد التبعيض ...

والتبعيض في مقام بحثنا يقتضي أمرين:

الأول: أن الخلق تم ببعض أي بجزء من الماء وليس بكل الماء.

الثاني: أن الخلق تم ببعض عناصر الماء وليس بكل عناصره؛ ولما كان الماء من عنصري الأيدروجين والأكسجين فإن البحث يكون عن أيهما ..

والواقع المشاهد الثابت المقطوع به ينطق بأن الكون به ماء كما أن أجرامه تكونت من الأيدروجين وما بين السماء والأرض وجد به الأكسجين.

إذن فالعلم الذي يقول بأن الكون خلق "من الماء" يكون علماً حقيقياً لأن الواقع المقطوع به يشهد له.

أما حجم هذا "الماء" فهو فوق حدود الإدراك البصري أو البشري.

وتعبدياً ..

فإن لنا أن نسأل وقد أصبح "من الماء" كوناً، على أي شيء الآن "عرش الله العظيم"؟.

يخبرنا العلي العظيم فيقول جل شأنه أن بعضاً من الملائكة تحمله:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ (غافر ٧).

أما يوم القيامة، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (الحاقة ١٧).

ويحكي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[١].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالك (إن ملكاً من حملة العرش يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قدماه في الأرض السابعة السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا)[٢].

وإذا كان ثمة كلمة

فإن الواجب يقتضي أن ننوه هنا بأن:

الخلق لم يبدأ من عدم كما يقول "الفلاسفة" وكما يحلو لبعض الناس أن يقولوا ...

وإنما الخلق كان من الماء أي أن الخلق كان من مادة.

أما إذا تساءلنا: ومن أين جاء "الماء" الذي كان عليه العرش المجيد؟.

فإنه يكون سؤالاً بغير جواب، لأن الله سبحانه لم يخبرنا عما كان قبل الماء؛ فذلك من قمم الغيب ..

ومن ثم ...

فالكلام فيه سيكون على غير أساس حقيقي، وبالتالي بغير طائل.

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة وأخرجه الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه "أصول الإيمان".

(٢) المرجع السابق.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾
صدق الله العظيم




بداية الرحلة

بداية الرحلة

إن الكهرباء والجاذبية وسرعة الضوء وسرعة الصوت والرياح والسحاب والعواصف والصواعق والمادة وعناصرها والذرة ودقائق مكوناتها والتفاعلات الكيميائية والبيولوجية والجيولوجية وغيرها، كل ذلك من السنن الكونية أي الظواهر الطبيعية .. هذه السنن الكونية لم ولن يدع مخلوق أنه خلقها، فيه وجدت منذ أن خلقها الله العظيم، وبها وبغيرها يفعل الله ما يريد، وبيده ملكوت السماوات والأرض.

وكما هو ثابت معملياً، إذا مررت تيار كهربائي في الماء، فإنه يفصل عنصري الماء فيصير كل منهما على حدة، ويصبح الموجود غاز الأيدروجين وغاز الأكسجين، وبالتالي لا يصير هناك ماء.

ولما كان الثابت علمياً أن العنصر – أي عنصر – إنما يتكون من ذرات، وأن الذرة هي أصغر مكونات العنصر.

فإن "رب الفلق" باسمه المكنوز فيه قد "فلق" بعض الماء الموجود تحت عرشه إلى عنصريه ثم "فلق" نوى ذرات الأيدروجين، فخرجت من جراء هذا "الفلق" نار هائلة ذات طاقة أي حرارة هائلة ونور خرافي السطوع.



قال تعالى:

﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ (الأنعام ٩٥). والنوى جمع نواة. والذرة عندما تفلق إنما تفلق فيها نواتها، لهذا نسمي التفجير الذري بالانشطار أو التفجير النووي.

والثابت علمياً نتيجة التجارب الذرية المادية، أن النار والطاقة المتولدة عن التفجير النووي ينتج منها إشعاعات (سمها كما شئت سينية أو كما تحب)، وأن هذه الإشعاعات عبارة عن بروتونات ونيترونات وإشعاعات ألفا وبيتا وجاما وفوتونات وألكترونات وبوزيترونات وميزونات وميونات بنسب كبيرة هائلة مميتة.

قال العلي الكبير: ﴿قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق﴾.

والحقيقة العلمية المادية أثبتت أيضاً أن كل هذه الطاقة وما تولد عنها من إشعاعات وأشعات إنما عبارة عن مادة في صور متفاوتة .. فالمعروف الآن كبديهية أن كل طاقة مادة وكل مادة طاقة.

والثابت نتيجة التجارب الذرية أن الإنفجارات الهائلة وما يصحبها من طاقة عظيمة يتولد عنها ضغوطاً رهيبة.

وهذا هو ما حدث في البداية تحت عرش الرحمن ..

انفجار ذري في جزء عظيم من الماء (أي الأيدروجين) الذي كان عليه العرش، فأنتج ناراً وطاقة ونوراً لا يمكن للإنسان أن يتخيله فيتصوره. ومن ثم وجدت الضغوط العظمى، فوجهها رب الفلق جميعاً إلى خلق هذه الأرض أولاً كما سنثبت بعد ...

ذلك أن الضغط على النار يحولها إلى غاز، والضغط علـى الغـاز يحوله إلى سائل والضغط على السائل يحوله إلى جسم متماسك وباسـتمرار الضغط يزداد قوامه تماسكاً ثم بعوامل طبيعية أخـرى كـالبخر والبـرودة يتصلب الجسم. وما تخلف بعد ذلك من أيدروجين ملتهب كوره رب العالمين فكان نجوماً ومجرات ..

ولا شك أن التفجير النووي الذي حدث إنما كان انفجاراً عظيماً لأنه انفجار لعدد مهول من الذرات لا يمكن للبشر جميعاً أن يحسبوه، وإنما العلم فيه لله وحده لا شريك له. أما أنه أحدث فرقعة كبرى فهذا أمر لم يحدث لأن الفرقعة والصوت لا يوجد إلا بذبذبات في الهواء وهو الذي لم يكن له وجود بعد.

وإذا كان هذا ..

فإنه من المضحك المؤسف معاً أن يقـال فرقعـة كبـرى لانفجـار بروتون واحد الذي هو جزء من نواة ذرة واحدة لا تزيـد!! أوجـدت هـذه السماوات كلها وهذه الأرض من بعدها كما يـدعون. شـيء مضـحك لأن التجارب المادية تكذبه ..

فقد بينت التجارب الذرية ..

أنه كلما زاد عدد الأنوية كلما زاد الانفجار الذري قوة وضخامة ..

وهذا واقع مجزوم به يدل على فساد فكرة العلمـانيين فـي انفجـار البروتون الواحد. ولما كانت النجوم هي أيدروجين في حالة انفجار نـووي دائم، وإذا كان الفرناء ما بين المجرات (أي المجموعات النجميـة) مملـوء بذرات الأيدروجين بنسبة ٩٩٩ في الألف لغيره من الغبار الكوني .. فإن هذا

واقع مقطوع به يشهد على أن الخلق كان من الأيدروجين الذي هو جزء من الماء.

وإذا كانت الأرض يغطي ٥/٤ سطحها ما ء وجوهها به بخار الماء.

وإذا كان الجو مملوء بالأكجسين بنسبة ٢٠%.

فإن هذا وذاك برهانان أكيدان على أن خلق الأرض أولاً ثـم خلـق السماوات كان من مادة الماء.

والبرهان لابد أن يكون مادياً[١].

والخلق من عنصر الأيدروجين ثابت مادياً.

ووجود الأكسجين والماء ثابت مادياً كذلك.

ووجود البذور ثابت مادياً أيضاً ..

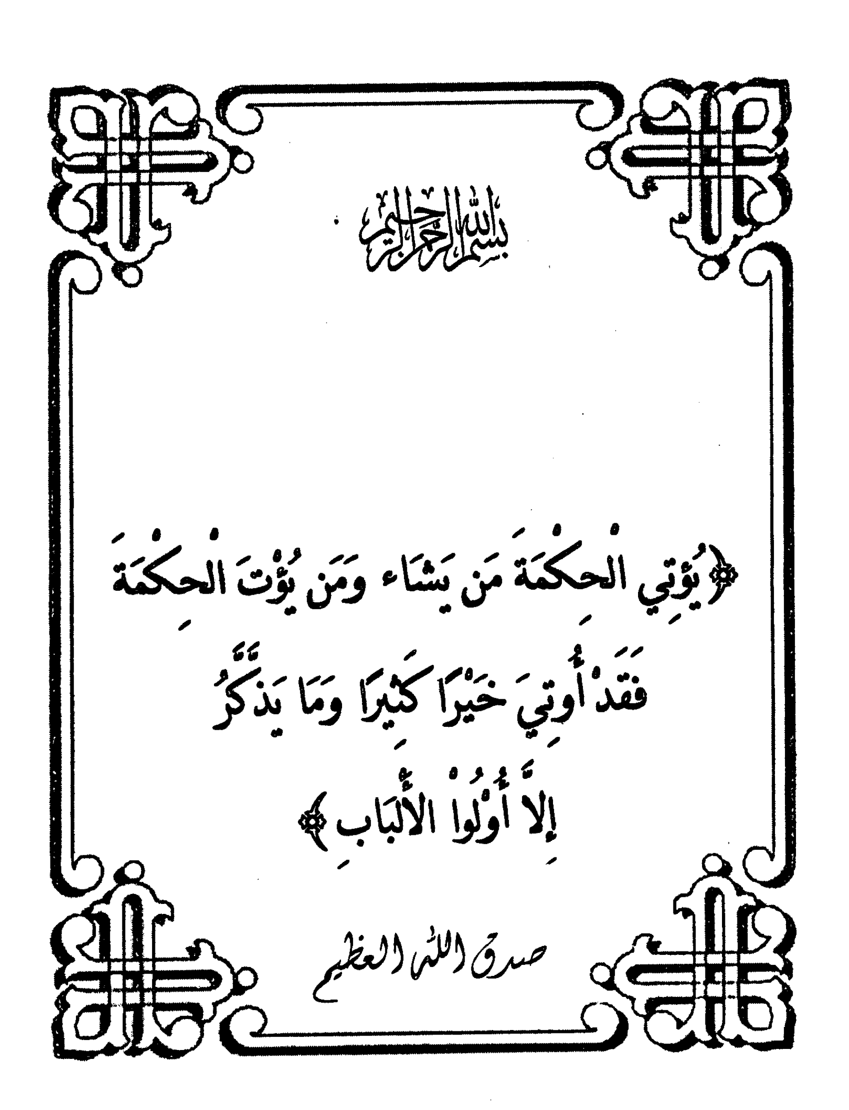
وبعد نشر هذا الكتاب بعشرين عاماً تأكد علماء الذرة وجسيماتها من أن نظرية الانفجار العظيم ليست إلا خرافة فكرية ومهزلة علمية. تأكدوا وكنا من قبلهم عالمين بحق كتاب الله وهديه ونـوره فـي علومـه[٢]. قـال رب العالمين:

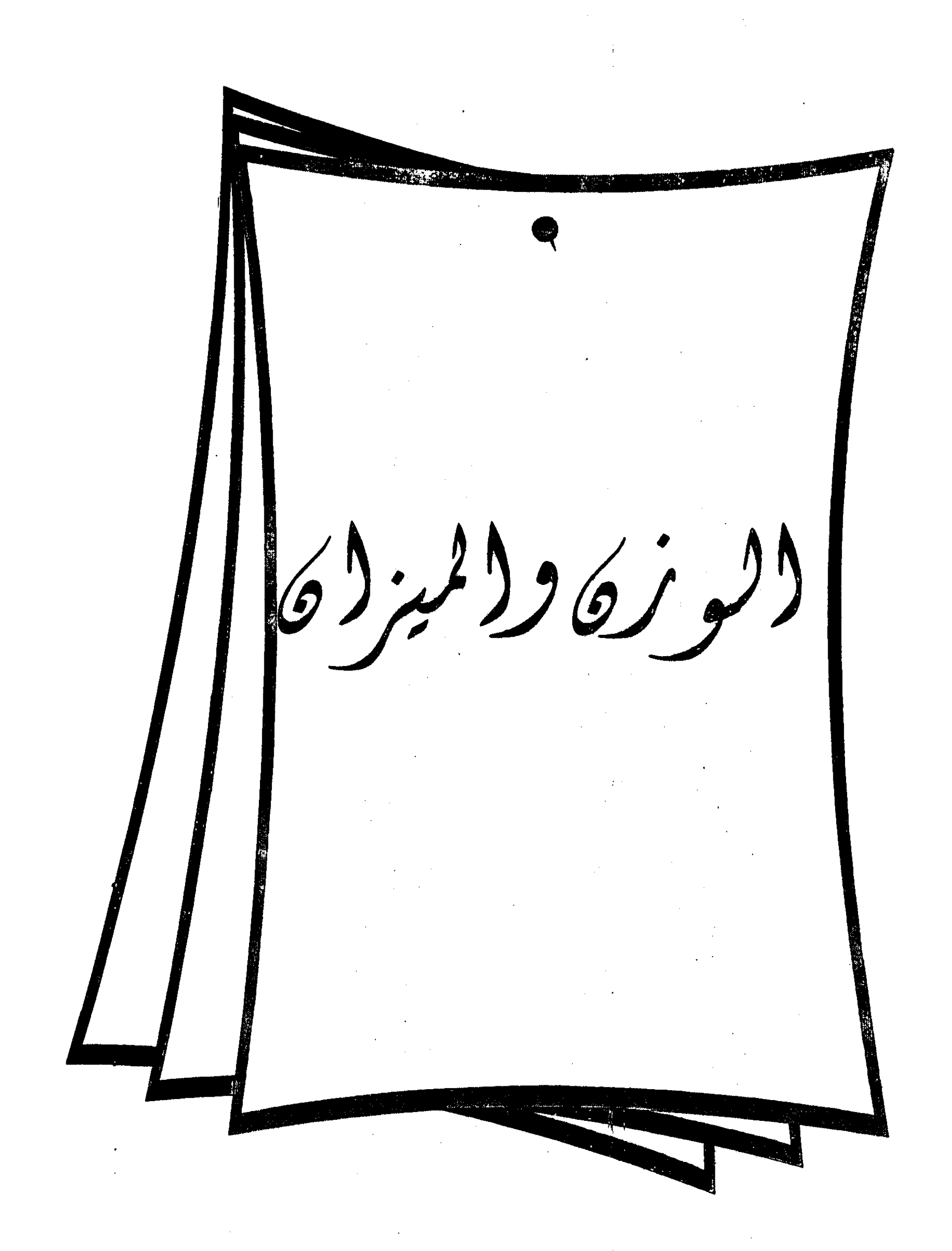
﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ (النمل ٤٢)

---

(١) "الله والكون" باب البرهان، للمؤلف الأستاذ صلاح الدين أبو العينين.

(٢) نشر هذا الكتاب عام ١٩٨٦ وصدر قرار وزارة التربية والتعليم الذي وضعه علـى قمة القائمة الببليوجية للكتب ليدرسه الأساتذة المدرسون بجميع مراحل التعليم.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يُؤتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ
فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾
صدق الله العظيم


الوزن والميزان



الوزن والميزان

وتوغل معي في هذه الفقرة برفق:

فإن فيها وزناً وميزاناً؛

ذلك بأن إثبات فساد نظريات وأفكار العلمانيين عن معرفة بداية الخلق ومادة الخلق كان أمراً هاماً.

لأن البداية الصحيحة هي المقدمة الحقيقية.

والتقدم في المعرفة إن لم يكن على هدى هذه الحقيقة تفرق في سبل كثيرة ومن ثم تاه في خيالات وأوهام ليس لها من الحق نصيب ..

وإذا كان العلمانيون قد قالوا بأن الكون قد وجد من الأيدروجين؛ فإن هذه المقولة وإن كان فيها نصيب من الصحة إلا أنها كبداية فهي بداية خاطئة تماماً، فالكون لم يبدأ من الأيدروجين ولم يخلق كبداية منه، وإنما البداية كانت "الماء" والخلق كله كان من عنصريه، فأولا كان الفلق لبعض الماء ثم تفجير الأيدروجين ثم بث الأكسجين إلى حيث أراد الخالق ثم إنزال ماء بقدر أسكنه الله في الأرض. فالخلق إذا من "الماء" وليس من "الأيدروجين" فقط.

ومن هذا يثبت لنا فساد فكرة "أينشتين" وكذلك فساد علماء فيزيقا الجسيمات.

وإذا كانت هذه البداية مهمة.

فإن الذي تلاها هو "الأهم".

ذلك بأن "الانفجار العظيم" في المكان العظيم الذي كان فيه الجزء من "الماء" الذي فلقه الله العظيم ثم فلق نوى ذرات الأيدروجين فيه، والذي تولدت فيه النار والطاقة والنور بكميات لا يمكن حسابها لأن الجزء الأكبر من الكون من الغيب، فقد قصد الله سبحانه إلى خلق جزء من الكون أولاً ثم خلق الباقي ثانياً ثم ثالثاً. ذلك بأن سنة أي عمل أن يكون له نتيجة أولية ومن بعدها نتائج، أي أن تتحقق النتائج بترتيب فاعلية الإجراءات التي يتم بها العمل.

وإذا كان العلمانيون يصرون على أن البداية هي وجود الأجرام النارية كبداية منطقية بالضرورة للانفجار النووي -سواء للحالة المتفردة عن آينشتين أو البروتون الوحيد عند غيره- ومن هذه الأجرام النارية أي السدم والنجوم تناثرت الكواكب ومنها الأرض ومثلها ملايين.

فإن البداية هذه لا يمكن أن تمر دون أن ننظر فيها بعين المنطق العلمي حتى نتبين، هل منطقهم صحيح أم أنهم يتكلمون وليس من منطق إطلاقاً ...

ومنطق العلمانيين في ترتيب وجود مكونات الكون مؤسس على القواعد الآتية:

الأولى: أن النجم كتلة أيدروجين في حالة غازية مشتعلة دائماً نتيجة انفجارات نووية مستمرة. وأقرب مثال: الشمس.

الثانية: أن النجم بمرور ملايين السنين عليه، يتحول جزء من غاز الأيدروجين فيه إلى رماد الهيليوم، وبمضي ملايين من السنين أيضاً يكثر رماد الهيليوم، وكنتيجة للحرارة الهائلة

والضغوط الرهيبة فيه يتحول رماد الهيليوم إلى معادن ثقيلة مثل المغنسيوم والسيليكون والحديد واليورانيوم ... إلخ.

والثالثة: أن هذه المعادن الثقيلة تترسب دائماً في أعماق النجم أي في مركزه لثقلها، وبمضي ملايين السنين يصير النجم هرماً وينضب منه غاز الأيدروجين فينكمش، فتزداد سرعة دورانه حول محوره، ومن ثم تزداد قوة طرده المركزية، ونتيجة لذلك يقل تماسك أجزائه، وتزيد قوة الطرد على قوة الجذب فيحدث الانفجار في النجم وتنطلق مكوناته في الفضاء متناثرة بقوة في دقيقة واحدة.

الرابعة: أن الذي تناثر من معادن وأحجار صلبة وما يحوطها من هالة من الغاز الملتهب، تدور حول نفسها في نفس اتجاه دوران النجم قبل انفجاره، كما تدور في فلك حول مركزه. وذلك بفعل قوة طرده المركزية لها.

الخامسة: أن الأرض جزء متناثر من الشمس؟! فدارت كما تدور وكذلك في فلك حولها. ثم برد جسمها حتى صار كما نراه؛ وأن القمر جزء من الأرض انفصل عنها ودار حولها.

السادسة: أو أن الأرض جزء من نجم عجوز انفجر ثم دار في فلك حول الشمس لأنها كانت موجودة مع النجم المنفجر؟!

هذه هي قواعد المنطق العلماني في ترتيب وجود مكونات الكون.

ومن ثم ..

فإن الاستنباط منها طبقاً للمفهوم الصحيح للدليل أي السبب الذي منه المسبب، يكون مقدمة صحيحة للوصول إلى الحق .. وبالتالي نعرف هل هذه القواعد العلمانية صحيحة أم باطلة بذات منطقهم العلماني ..

ولنزن الآن كل ما قيل عن وجود الأرض

فأولاً: إذا قلنا أن الأرض جزء من نجم براق، فمعنى ذلك أن الأرض في البداية عقب انفصالها من النجم المنهار كانت معادن ثقيلة وصخور تحوطها هالة من اللهب.

ومن ثم فأحد احتمالات أربعة لابد منها للمعرفة:

الاحتمال الأول: أنه لأن الأرض جزء من النجم البراق فعقب انفجاره لابد أن تدور وفي فلك مركز النجم المتفجر، ولأن الشمس -كما قالوا- كانت قرينة لهذا النجم أي كانت تدور في فلك حوله. فبالتالي لزم للأرض أن تكون هي والشمس سابحتين في فلكين ولكن مركزه واحد هوا لنجم المتفجر ..

ولما كان الواقع عند العلمانيين أن الأرض تدور حول الشمس، والشمس تدور في فلك طوله ٢٠٠ مليون سنة.

إذاً فواقع الكون يخالف منطق العلمانيين بالضرورة.

الاحتمال الثاني: إذا كانت الشمس لا تدور في فلك النجم المنفجر، فمعنى ذلك أنها لم تكن قرينة له.

وعندئذ نتساءل: من أين جاءت الشمس؟ ما الذي أوقع الكواكب السيارة والأرض إحداها عند العلمانيين؛ في قبضة الشمس كما يقولون؟

ولأن نظرية النجم البراق الذي انفجر لا تستطيع أن تجيب على هذه الأسئلة،

فقد عاد العلمانيون إلى نظرية أن الأرض والكواكب السيارة نتاج ما تناثر من الشمس. فهل هذا صحيح؟ سنجيب بعد قليل.

الاحتمال الثالث: قال العلمانيون أن المعادن في مركز النجم البراق ثقيلة جداً فالمعدن الذي في حجم علبة الكبريت ثقله بسبب الضغط الرهيب عليه نحـــو ألف مليون طن.

ولأن الأرض من هذه المعادن،وما هو منها في باطنها عليـــه نفـــس الضغوط الرهيبة،

فإنه تبعاً لذلك، تكون الأرض هائلة الثقل – حسب هذا المبدأ- بحيث لا تقارن بها الشمس التي هي غاز فقط؛ وكان المنطقـــي علميـــاً –حســـب نظريتهم هذه– أن تسبح الشمس في فلك حول الأرض وليس العكـــس كمـــا يقولون!!

الاحتمال الرابع: إنه ما دام أن الأرض مكونة من معادن وأحجـــار ناريـــة، فلابد أن تكون خالية من الأكسجين والماء ..

لأنه ليس ثمة سبب علمي يبرر وجودهما في نظريتهم.

فإذا كان الواقع هو وجود الأكسجين والماء في الأرض.

فإن نظرية العلمانيين بالتالي تكون غير صحيحة.

ثانياً: أن تكون الأرض جزء متطاير من الشمس

والثابت مادياً، أن الشمس حتى الآن ما زالت أيدروجينياً يتفجر بالانشطار النووي، أي مازالت كرة غازية ملتهبة.

فإذا قال العلمانيون أن الشمس هي الأصل والأم

فكيف نبرر وجود المعادن والأحجار في الأرض ... والتسلسل العلمي في واقع الكواكب حسب الفكر العلماني يقول بضرورة حدوث هذا أولاً في الأقدم أي في الشمس!!

ولما كان هذا، فإن بعضهم لجأ كما بينا سابقاً إلى فكرة النجم البراق المنفجر ...

ومن هذا يتبين لنا:

أن كلا من نظرية الشمس ونظرية النجم البراق، ما هي إلا خيال لا يسنده الواقع فضلاً عن أنه خيال متناقض متعارض.

ثالثاً: لو كانت الأرض جزء من نجم براق انفجر عندما صار معادن صلبة وأحجار ملتهبة يحوطها هالة ضخمة من النار، للزم أن تكون الأرض صلبة في مركزها لأن المعادن هي الأثقل فهي النواة التي حولها بقية الأجزاء .. وللزم، وقد بردت هذه النار التي هي محيط كل ما تناثر من النجم البراق، أن تكون هي قشرة الأرض، ومن ثم تكون الأرض جميعاً باطناً وظاهراً جوفاً وسطحاً، صلبة تماماً.

ولما كان الواقع الموجود هو أن باطن الأرض ما زال وسيظل معادن سائلة، أما السطح فصلب وهو لا يزيد في أكبر أجزاءه عن سمك ١٦٠ كيلومتراً عمقاً ثم نجد بعده المعادن الشديدة الحرارة فالسائلة المنصهرة

في درجة الغليان ثم يكون مركز الأرض صلباً تماماً على خلاف قوانين الطبيعة الثابتة علمياً؟!!

وآية ذلك ثورات البراكين في كل مناحي الكرة الأرضية وما تقذفه من حمم بركاني سائل يفيض على جوانب فوهته فيهلك القرى والمدن والحرث والنسل.

ولما كان هذا الواقع المشهود الصحيح المجزوم به يتناقض تماماً مع نظريات العلمانيين التي هي حقائق علمية مستقرة عند ذرية أبي جهل الذين لا يعلمون إلا النقل والجري عبيطاً خلف العلمانيين.

فإن هذا الاستنباط يكون أيضاً فاسداً.

رابعاً: النجم فوق البراق، وما تناثر منه – كما يدعي العلمانيون – صلب الباطن ومحيطه ناري.

والأرض سائل باطنها ملتهب الحرارة، صلب محيطها بارد .. أي أن كل منهما عكس الأخر تماماً ..

وإذاً ..

فالأرض خلق خاص ليس من نجم براق .. وسبحان الله وتعالى عما يشركون.

ولما كانت الشمس مازالت نجماً شاباً غاز أيدروجين يتفجر نووياً .. والأرض معادن وأحجار صلبة وسائلة ..

إذاً فالأرض غير الشمس مادة وتكويناً.

لذلك قال –كثير من العلمانيين– أن الشمس ليست أم الأرض.

وإذاً ..

فالأرض خلق خاص ليس من الشمس ..

خامساً:

يقول العلمانيون أن الأرض من نجم براق أو من الشمس، وأن أياً منها أسبق طبعاً في الوجود من الأرض.

فما الذي يقوله الواقع المادي؟.

أن الشهب والنيازك – وهي أجزاء متناثرة من نجوم منفرجة حسبما يدعيه العلمانيون – التي تسقط على الأرض، تقول لنا بالعلم التجريبي المادي غير ما يقوله العلمانيون ..

فالعلمانيون أنفسهم يقيسون بأجهزة القياس الإشعاعي –والقياس علم ظاهري– عمر تلك الشهب والنيازك الآتية من جوف السماء، ويقررون تبعاً لهذا القياس المادي أن عمر هذه النيازك أحدث من عمر صخور الأرض!!.

ومعنى هذا أن الأرض أقدم في الوجود الكوني من النجوم البراقة التي انفجرت وكان منها هذه النيازك والشهب.

ولما كان ذلك ..

فإنه من باب أولى، أن تكون الأرض أقدم بل وأقدم كثيراً في الوجود من الشمس لأنها مازالت أيدروجيناً متفجراً.

وهذا الدليل المادي، يقطع بحسم أن الأرض ليست من نجم براق ولا من الشمس، وفضلاً عن ذلك فإنها أقدم في الوجود من كل النجوم الموجودة في السماء ومن السماء ذاتها.

وهذا يثبت فساد مقولة "الأساس" في وجود الكون التي قالها العلمانيون .. [١]

سادساً:

يقول العلمانيون، في تخبط شديد وبلاهة اشد، أن القمر كان جزءاً من الأرض وانفصل منها ..

ولما كان هذا القول – شأن كل فكرهم– لا يساوي المداد الذي كتب به.

فإن الخالق العظيم ...

سرعان ما كشف عنه، حتى يفيق الناس إلى رشدهم ...

فقد تقدم الكشف عن السنن الكونية، وتقدمت صناعة "الأسماء" فانطلقت مراكب الفضاء إلى السماء حيث نزل الإنسان بنفسه وبآلاته فوق القمر، وأحضر إلى الأرض عينات من صخور وتربة القمر ...

وأدخلت هذه الصخور والتربة في المعامل ولنسمع ما تقوله هذه الصخور والتربة في دائرة المعارف الأمريكية بالترجمة الحرفية [تربة القمر التي جمعها أول رائد فضاء كانت رمادية داكنة على بنية داكنة. ومكونة من قطع من الصخور وقطع من الزجاج. **وتقريباً فإن نصف كمية التربة قطع زجاج. وقد أظهر الميكروسكوب أن بعض القطع عبارة عن كرات زجاجية]** [٢].

---

(١) ثبت أخيراً من رحلات مركبات الفضاء أن عمر الأرض ٢٠ مليار سنة وأن عمر الشمس ١١ مليار سنة ؟!!

(٢) دائرة المعارف الأمريكية – المجلد ١٣ صفحة C ٦٤٦.

وقال الدكتور فاروق الباز – وهو من المشرفين على رحلات القمر – في تقرير كتبه بخط يده، ونصه: [**نعلم الآن مثلاً أن الأرض والقمر خلقا سوياً** منذ حوالي ٤,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ عام. وهذا نعرفه نتيجة لدراسة كمية بعض العناصر المشعة (مثل اليورانيوم) التي تتحول مع مرور فترة زمنية محددة إلى عناصر مشعة أخرى (مثل الرصاص). ونعلم أيضاً أن القمر يتكون من نفس العناصر الكيميائية **التي تكون الأرض ولكن بنسب مختلفة بعض الشيء. أما الفارق الأساسي بين القمر والأرض فهو أن القمر ليس حوله غلاف جوي ولا تحتوي صخوره على ماء أو على أي أثر لأي نوع من الأحياء**][1].

وفضلاً عن هذا فالثابت أن القمر يدور حقاً حول الأرض من الشرق إلى الغرب وهذا عكس دوران الأرض المدعى به حول نفسها، أي مخالف لفكرة أن ما يتناثر من الكواكب بقوة الطرد المركزية لابد وأن يدور حول نفسه وحول الكواكب في نفس الاتجاه.

من هذا كله ؛ يثبت عدم صحة أفكار ونظريات العلمانيين بنفس منطق علمهم، وبيقين الثابت المادي الكوني.

ذلك بأن الحق سبحانه وتعالى هو وحده خالق الكون وهو وحده الذي خلق كل شيء بقدر.

﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه ٥٠).

فخلق القمر خلقاً خاصاً مناصفة بين التراب والزجاج ليكون مرآة وساعة كونية عظمى للخلائف في الأرض ..

---

(١) كتاب "الصواريخ والفضاء" للأستاذ حسين طنطاوي.

وهنا ...

يجب أن نعلم لماذا أخطأ العلمانيون ؟.

إن الأمر عند العلمانيين هو المعرفة، والمعرفة عندهم أساسها الفكر العقلاني متخذين هدفاً خيالياً وصولاً إليه بمقدمات ظنية وفرضية .. أي أنهم يتخيلوا الغيب بعقولهم ثم يحاولوا الوصول إليه بالمشاهدات المادية ..

وهنا يكمن الخطأ ..

ذلك بأن العقل الإنساني لا يعـرف إلا الظـاهر أي لا يعـرف إلا الشهادة التي يراها بعينيه ويسمعها بأذنيه ويدركها بحواسه، ومن ثم فالعقـل الإنساني لا يسير في المعرفة إلا بالمقدمات الصحيحة من الواقع المشـاهد؛ لذلك جعل الله العظيم البرهان أي برهان مادياً دائماً.

فشل العلمانيون إذاً كما فشل الذين من قـبلهم مـن الفلاسـفة فـي محاولتهم الوصول بالفكر الظني الخيالي إلى معرفة الغيب.

ولأن العقل الإنساني في ميدانه الصحيح هو عالم الشهادة، فـإن الله سبحانه دلنا على أنه الخالق لكل شيء وأنه الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفواً أحد، بالواقع المشاهد للإنسان.

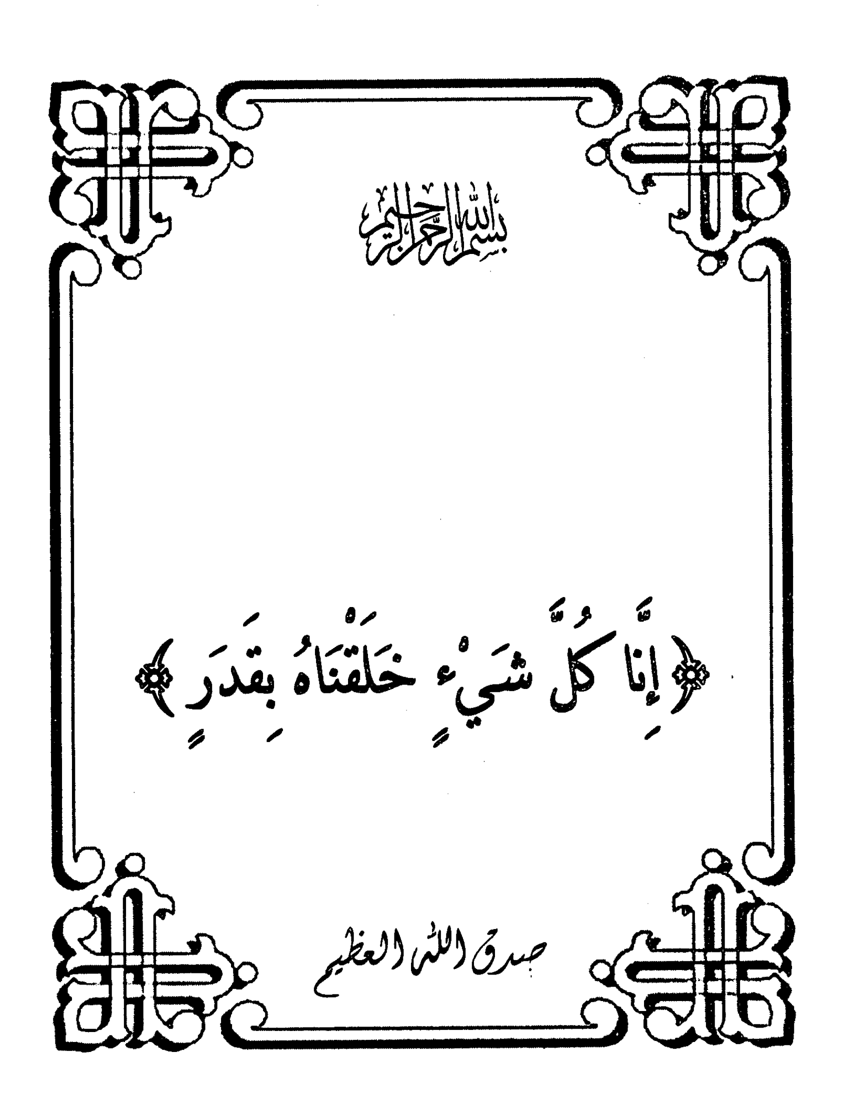
ومن هنا اختلف الإيمان مع الكفر.

فالإيمان يستدل بالواقع المادي في الوجود على خالق الوجود فـأيقن به ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ (الأنعام ٧٥)

والكفر العلماني يحاول بالخيال الاستدلال على وجود الواقع المـادي فظل في التيه والضلال .. وسيظل ..

ثم لنزن الآن كل ما قيل عن الشمس بالنسبة للأرض .




بسم الله الرحمن الرحيم
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
صدق الله العظيم


الأرض
أيدروجينياً



الأرض أيدروجينيا

يقول العلمانيون ويردد الببغاوات من بعدهم: أن الشمس اكبر حجماً من الأرض وأثقل بمقدار ١/٢ ١ مليون مرة!!.

ثم يقولون: وإنه لهذا السبب فإن الشمس تجذب الأرض إليها، إلا أنه لدوران الأرض في فلك حول الشمس، فإن قوة الطرد المركزية الناتجة عن هذا الدوران تعادل قوة جذب الشمس لها؛ وبذلك تبقى الأرض تسبح في فلكها دون أن تنجذب إلى الشمس؛ إلا أنها لا تستطيع أن تنفلت من قبضة جاذبية الشمس!.

هذه الفكرة الخيالية ينقضها خيالهم الذي يدعونه.

فهم يقولون: أن الأرض لا تدور حول الشمس في دائـرة صـادقة الاستدارة إنما تدور في قطع ناقص أي مدار اهليلجي (بيضـاوي) فهـي – عندهم– تبعد عن الشمس تارة وتقترب تارة أخرى، دون أن يعلل العلمانيون سبب هذا البعد أو سبب ذلك القرب!!.

مع أنه لو كانت الأرض مشدودة إلى جاذبية الشمس لتساوت جاذبية الشمس عليها في جميع الاتجاهات ومن ثم لدارت في فلك صادق الاستدارة.

وواضح أن القول من أوله إلى آخره مرده "الخيال" الذي قالوه ابتداء، عن أساس الخلق وهو دوران السديم فتناثر أجزاؤه إلى نجوم تدور فـانفجر إحداها فأجزاؤه –كالأرض– تدور وهكذا ... الخ.

ولأن الخيال ليس واقعاً ..

فإنه لا يؤدي إلى حقيقة.

فما هي حقيقة الأمر؟.

المعروف المسلم به أن الحجم علمياً ولغة هو الاتساع المكعب. ورياضياً هو حاصل ضرب الطول في العرض في الارتفاع. فإذا كان الحجم لشيء كروي كان الحجم هو ٤/٣ × ط نق٣. وط هو محيط الكرة ونق هو نصف القطر.

وواضح أيضاً أنه بهذه المثابة الرياضية الثابتة أن "حجم" الشمس أكبر من "حجم" الأرض ١/٣ ١ مليون مرة.

ولكن هل "الجاذبية الأشد" تكون نتيجة للحجم، أما أنها نتيجة "للكتلة الأكبر".

الثابت علمياً أن الكتلة هي أساس قوة الجذب، فكلما كانت الكتلة أكبر كانت قوة الجذب أكبر، ولأن الكتلة هي مقدار المادة.

لهذا ...

فإن قول العلمانيين ينهار عبيطاً عند قولهم بأن حجم الشمس أكبر من حجم الأرض ١/٣ ١ مليون مرة وأنه لهذا السبب فإن الشمس تجذب الأرض إليها، وذلك لعدم تناسب الكثافة واختلاف المادة، فالشمس كتلة غازية أما الأرض فهي كتلة مادية حجرية ومائية ومعدنية ...

عندئذ ...

يجب أن نحسب مقدار "كتلة الشمس" ومقدار "كتلة الأرض" لنعرف من الأكبر. وحتى تكون الحسبة صحيحة، يجب أن تكون الكتلة واضحة وواحدة حتى يمكن المقارنة بين كم الأرض وكم الشمس.

بمعنى أن الكتلة يجب أن تكون في الاثنين من عنصر واحد. ولأن عنصر الشمس هو الأيدروجين فإن كتلتها بالتالي ستكون بعدد ذرات الأيدروجين.

وأيضاً فإن "كتلة الأرض" يجب أن تكون بعنصر الأيدروجين وعدد ذراته، حتى تكون المقارنة بين متساويين وبالتالي صحيحة.

ولأن "الأرض" من معادن وأحجار وتربة وماء ونبات وحيوان وطير وإنسان. فإنه يجب تحول كل هذا إلى عنصر الأيدروجين ثم تحول العنصر إلى ذرات. وكل هذا يمكن حسابه رياضياً بالتسلسل الرياضي التراجعي، ولنضرب لتوضيح ذلك المثل التالي:

نضع مقدار ٥٠سم٣ ماء في مكعب حجمه ١٠٠٠سم٣ ونضع تحت الماء خارج المكعب نار شديدة، فبعد مدة بسيطة يتحول الماء إلى بخار، وإذا نظرنا إلى داخل المكعب وجدناه قد ملئ جميعاً بالبخار أي أن حجم المكعب قد صار مملوءاً ببخار ماء كانت في حجم ١/٢٠ منه، ولو حولنا البخار إلى غازي الأيدروجين والأكسجين لملأ مكعباً أكبر من المكعب الأول عشرات ومئات المرات. هكذا مع كل مادة موجودة على الأرض وفي الأرض، ويمكن حساب ذلك رياضياً. وبالتالي لتبين لنا أن حجم الأرض من الأيدروجين أن هو إلا حجم مهول لا يتخيله عقل إنساني ... بحيث تبدو الشمس بجواره كمجرد "نقطة" بجوار "بحر".

وإذا فعلنا العكس وضغطنا على حجم الشمس وحولنا الأيدروجين إلى هيليوم فحديد ورصاص ونيكل وأحجار، لتبين لنا أنها في حجم شيء لا يزيد عن حجم الهرم بجانب الأرض. ويمكن حساب ذلك رياضياً أيضاً.

أي أن المقارنة ستكون بعمل تسلسل تراجعي لمــواد الأرض حتــى نصل إلى عدد ذرات الأيدروجين أو بعمل تسلسل تدريجي لذرات أيدروجين الشمس حتى نحسب ما تصير إليه من مادة صلبة.

ولنضرب مثلاً ثانياً ..

معروف أن محرك الطائرة النفاثة يأخذ الهواء ويؤينه أي يحلله إلى أيونات، وبالتالي يكبر حجم الهواء الذي امتصه المحرك مــن الجــو، ولأن حجمه يكبر فإنه يخرج بقوة من فتحة المحــرك الخلفيــة فيــدفع الطــائرة، فتطير ..

ففكرة المحرك النفاث مبنية على أساس تحليل الهواء الصغير الحجم إلى عناصره وبالتالي يكبر حجمها فتخرج مندفعة بقوة.

وإذا فالحجم الكبير كان لشيء صغير.

وهكذا الشمس حجم كبير لشيء صغير.

والأرض حجم صغير لشيء كان كبير وكبير جداً جداً ..

أما أنه لابد من معرفة الحقيقة بهذه المقارنة فذلك معلوم ببساطة لدى أي إنسان. فإنه لا يجوز المقارنة بين كمية قروش وكميــة جنيهــات إلا إذا حولت القروش إلى جنيهات أو حولت الجنيهات إلى قروش، ومن ثم يمكــن المقارنة الصحيحة.

وهكذا ...

لا يمكن المقارنة الصحيحة بين مقدار كتلة الشمس وكتلة الأرض إلا بهذا التحويل السابق بيانه.

ومن هنا ..

نكون على يقين تماماً بأن كتلة الأرض أيدروجينياً أكبـــر مليـــارات المرات التي لا تعد ولا تحصى من كتلة الشمس أيدروجينياً ...

ومن ثم ...

ندرك بحق اليقين العلمي المادي ..

أن الأرض أكبر من الشمس ومعها جميع النجوم والمجرات ...

وإذاً ..

فإن الواقع المشاهد المادي للأرض، يثبت أن "حجمها الأيـــدروجيني" أكبر من حجم جميع النجوم ومعها الشمس مليارات المرات بغير عـــدد ولا إحصاء،

وعندئذ –وعلى هذا الأساس– تكون المقارنة بـــين "حجـــم" الأرض و"حجم" الشمس مقارنة صحيحة، لأنها مقابلة بين كتلتين وحجمين في حالـــة واحدة.

وإذاً ...

فهو خطأ ضخم، ذلك الذي يقول أن الشمس أكبر من الأرض وبالتالي ما ترتب عليه من خطأ أضخم وهو القول بأن الشمس تجذب الأرض لأن الشمس أكبر من الأرض[1].

وسبب خطأ العلمانيين ...

هو الكفر.

فالكافر غبي ذلك بأن الغبي هو الذي يمتنع عن إدراك العلم مهما كانت قوة الفهم عنده.

وقال الخالق العظيم معرفاً الكفرة في بحوثهم عن الخلق بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٧٩).

وكثيرون سيقولون عدواً بغير تدبر، كيف ذلك والكفار هم الذين اكتشفوا كذا وصنعوا كذا ... إلخ.

فنقول لهم مذكرين بما قلناه آنفاً في أول هذا الكتاب ..

---

(١) ثبت في أول رحلة فضاء (فسخود٢) الروسية أن الارتفاع فوق الأرض ٤٣٠ كم يكون منطقة عدم وزن وهذا يعني عدم وجود قوة جذب للشمس ويثبت فساد نظريات العلمانيين.

أن ما يكتشفه الكفار هو السنن الكونية وهي علم الظاهر وسبق للمسلمين اكتشافها من قبلهم .. وما يصنعونه إنما هو علم الصناعة الذي قذفه الله في قلب آدم ومنه لكل بنيه، ورقى الصناعة كانت أكبر عند السابقين منها عندنا الآن. قال العليم الخبير:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ – (أي في كل شيء) وَأَشَدَّ قُوَّةً (في كل شيء أيضاً) ﴾.

وإذاً ...

فالذي امتنع على الكفرة علمه وبالتالي لم يعرفوه هو علوم الخلق ..

وعلوم الخلق لا توجد إلا في القرآن العظيم ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء؛ وسع كرسيه (أي علمه كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) السماوات والأرض ﴾ (البقرة ٢٥٥) أي علوم خلق السماوات والأرض وما فيهما.

وكذلك كل علوم ما خلق الله من شيء ...

من هذا كله ..

يثبت لنا بالبراهين القاطعة من ذات فكر العلمانيين وبمنطقهم فساد كل نظرياتهم وأفكارهم عن خلق السماوات والأرض ..

ومن ثم ..

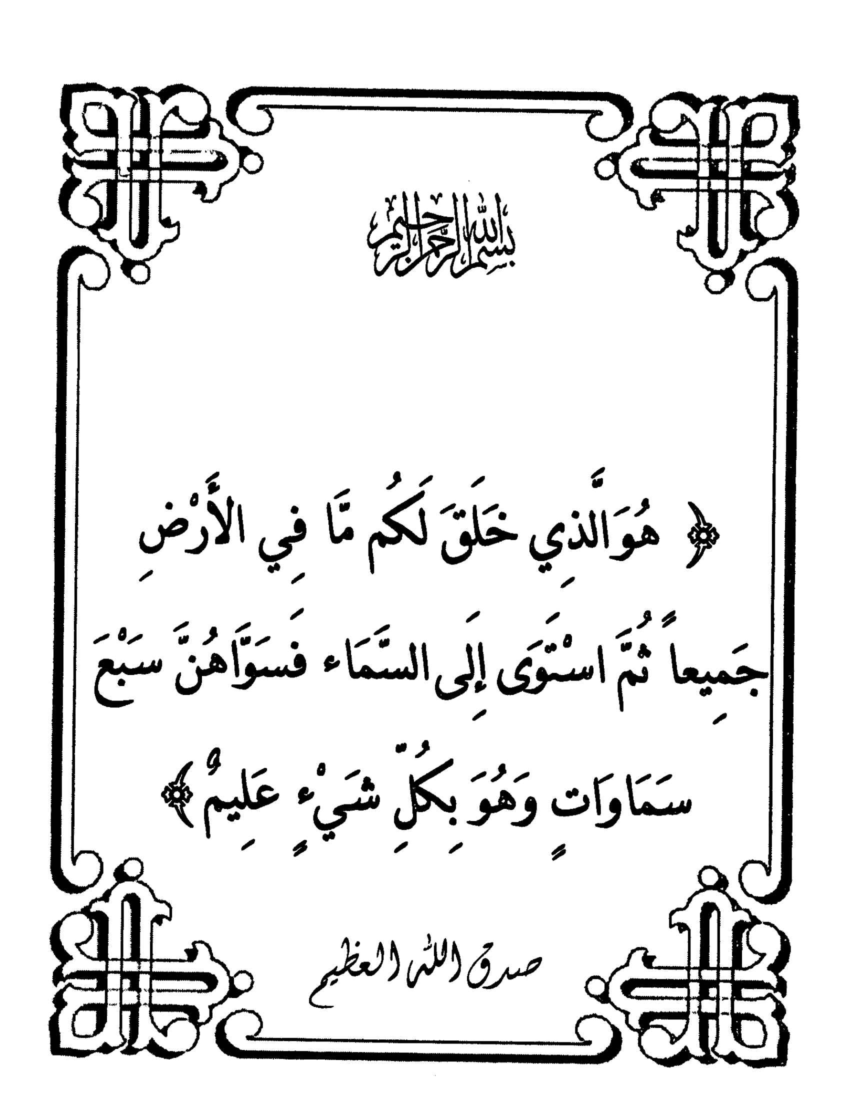
يثبت فساد فكرهم عن حجر أساس علم الطبيعة العلماني المتداول في كتبهم والذي يتعلمه الناس الآن في المعاهد والجامعات على انه حقائق ؟!!

وبالتالي ..

وبكل حق اليقين ..

فلندعوا عقولنا وأفئدتنا مع أسماعنا وأبصارنا إلى كتاب الله العظـيم الخالق للكون ولكل العالمين.

ويا ليت الذين يتندرون ويعجبون، والذين يـرددون أفكار العلمـانيين عدواً بغير علم والذين يقولون عن فكر العلمانيين أنها حقائق علمية مسـتقرة ويسبون ويشتمون، ويا ليتهم جميعاً ومعهم القابعين بغير علم؛ يبوؤون بفكر حر وعقل غير مقهور إلى كتاب الله العظيم وينظرون في ملكوت السماوات والأرض ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ (الأعراف ١٨٥).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ
جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
صدق الله العظيم




خلق
الأرض أولاً



خلق الأرض أولاً

آيات كثيرة تذكر كلمة "السماوات" قبل كلمة "الأرض" فيقول غير المتدبر لآيات الله أن الله خلق السماوات وأولاً ثم خلق الأرض وبالتالي، فإن علم العلمانيين يكون صحيحاً، وما درى أن هذا الفهم ما هو إلا خبط عشواء، وتنكب لغير طريق الفهم الصحيح وولوج إلى متاهات الفساد الفكري ... وعدم تصديق الواقع المشاهد ... ثم الانزلاق إلى العبث العلماني وما يترتب على ذلك لايمكن أن يكون إلا الكفر بالله وبالرسالة والرسول .. أي ضياع الحياة والآخرة !!

لذلك، ومن بعد كل البراهين القاطعة على أن الله العظيم هو الخالق البارئ (أي الواجد) المصور ...

فإننا نعرض بانتباه شديد إلى الآيات القرآنية التي تتكلم عن ترتيب الخلق الكوني لنعرف الصيحح لأساس علوم الطبيعة.

قال سبحانه وتعالى:

﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ (هود ٧)

﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ (الحديد ٤).

﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش . . . ﴾ (السجدة ٤)

ونلاحظ أنهاجميعاً تخبر عن ثلاثة أمور في شأن موضـــوع الخلـــق الكوني.

أولاً: تخبر عن "من" الذي خلق السماوات والأرض بأنـــه "الله جـــل جلاله".

ثانياً: أن الله سبحانه خلق الكون في مدة محددة هي ستة أيام.

ثالثاً: أن الله العظيم ذكر كلمة "السماوات" أولاً؛ وكلمة "الأرض" ثانياً وكلمة "ما بينهما" ثالثاً.

ولما كان موضوع هذا الفصل هو "ترتيب الخلـــق الكـــوني" فإننـــا نتساءل: هل ترتيب كلمات السماوات والأرض وما بينهما في تلـــك الآيـــات ترتيب تصاعدي أو تنازلي أم لا ترتيب بالمرة؟.

نسأل قواعد النحو التي تنظم المعاني، فنقول:

أن "الواو" حرف عطف نسق (أي نظام) لمطلق الجمع بلا ترتيب ولا معية ..

وإذاً فالآيات الكريمة بهذا النسق تبين لنا أمرين:

الأول: أن كلا من السماوات والأرض وما بينهما لم يخلقا معاً.

الثاني: أن تلك الآيات لا تفيد ترتيباً يبين لنا ما الذي خلـــق أولاً ثـــم ثانياً وهكذا.

ولهذا نجد أن آية كريمة تذكر الأرض قبل السماوات فيقـــول ربنـــا العظيم:

﴿ تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى ﴾ (طه ٤).

فذكرت الأرض قبل السماوات.

ومن ثم فالآيات الكريمة التي جاءت بهذه الصياغة إنما جاءت للإخبار بالصياغة الأجمل في السمع وليس لبيان ترتيب ما.

فإذا ما انتقل سبحانه إلى بيان ترتيب خلق السماوات والأرض وما بينهما ...

فقد فصل ذلك في ثلاث مواضع من القرآن العظيم في سورة البقرة وسورة فصلت وسورة النازعات.

يبدأ الحق القرآني بمنتهى الحسم والإيجاز قوله تعالى:

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، وهو بكل شيء عليم ﴾ (البقرة ٢٩).

والدارس لسورة البقرة يجد أن فواتيحها تكلمت عن الأساسيات فبدأت بنفي الشك في القرآن وأن الإيمان بالغيب ثم عطفت على بيان أنواع الناس: مؤمن وكافر ومنافق، ودعت الناس جميعاً إلى عبادة الله وتحدت العالمين أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن العظيم. ولما انتهى التحدي إلى التأكيد بعجز كل العالمين؟.

أبان الخالق العظيم ترتيب خلق الكون في تلك الآية المعجزة الموجزة وفيها نجد الحقائق التالية:

الأولى: أن الله جل جلاله هو الذي خلق للناس كل ما في الأرض.

الثانية: أن الأرض -مكان الخلق- كانت موجودة فعلاً بالضرورة.

الثالثة: أن الله تبارك وتعالى من بعد تمام هذا الخلق قصد إلى خلق السماء فجعلهن سبع سماوات في أتم خلق وأكمله.

ومن هنا ...

يتضح لنا أن ترتيب خلق الكون كان على الوجه التالي: أن الله سبحانه خلق الأرض ثم خلق كل ما فيها وبعد ذلك قصد إلى خلق السماء فسواهن سبعاً.

قال ابن جزي في التسهيل عن هذه الآية:

[وهذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله تعالى: ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ (النازعات ٢) ظاهره خلاف ذلك. والجواب من وجهين: أن الارض خلقت قبل السماء، ودحيت بعد ذلك، فلا تعارض. والآخر تكون "ثم" لترتيب الإخبار][1].

وفي سورة فصلت، تكلم الخالق العظيم عن ترتيب الخلق ومدة خلق كل شيء على حدة، بتفصيل كامل ورائع، ولأن هذا هو محور اليقين بالخالق العظيم، فقد أعقب ذلك بتوجيه أبشع وأعنف إنذار لمن لا يصدق تلك الآيات وما فيها من حقائق الترتيب.

وفي سورة النازعات تكلم جل جلاله عن بناء السماء ورفعها وبعد تمام رفع السماء ذكر أنه سبحانه دحى الأرض.

وها هو التفصيل:

---

(١) صفوة التفاسير جـ١/ ٤٦و٤٧ عن التسهيل في علوم التنزيل جـ١/٤٣.

اسمع إلى رب العزة سبحانه وتعالى عما يشركون:

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾.

ثم ..

استوى إلى السماء وهي دخان

فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها

قالتا: أتينا طائعين.

فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً، ذلك تقدير العزيز العليم.

فإن أعرضوا، فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ .

(فصلت ٩-١٣)

فبدأ الله بإنكار الإيمان بغير الله الخالق للأرض في يومين. وأخرج الإمام ابن كثير بسنده أن قوله تعالى (خلق الأرض في يومين) يعني يوم الأحد ويوم الاثنين (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغرس (وقدر فيها أقواتها) وهو ما يحتاج أهلها

إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء (في أربعة أيام) أي مع اليومين السابقين (سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه.

(ثم استوى إلى السماء وهي دخان) المراد بالدخان هو بخار الماء المتصاعد حين خلقت الأرض. [ونقول هو بقايا الأيدروجين وغيره المتخلف بعد خلق الأرض يظهر على هيئة دخان كما هو مشاهد حالياً بالمناظير المكبرة في فضاء الكون]. (فقضاهن سبع سماوات في يومين) أي في يومين آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة. وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى (خلق السماوات والأرض في ستة أيام) ففصل ها هنا -أي في آيات سورة فصلت- ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف كما قال الله عز وجل (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات). فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنهما فيما ذكره البخاري عند تفسير الآية من صحيحه[1].

وقد ظل هذا التفسير أكثر من ألف عام لا يدنو منه أحد إلا للعلم والفهم في طهر وقدسية، وعلى أساسه تمت جميع التقاويم الفلكية فكانت بارعة دقيقة، وعلى أساسه كان علم الفلك شامخاً عظيماً.

كان المسلمون في طهر الحكم بما أنزل الله في القرآن العظيم وفي طهر الصلاة والزكاة .. ثم دالت الأيام .. واحتل المشركون بلاد المسلمين .. وغيروا المجتمع المسلم بقوانينهم العلمانية وعاداتهم الكافرة وتعرية المرأة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤/ ٩٢و٩٣ ونفس المعنى في الجلالين - ٤٢٠ وصفوة التفاسير جـ٣/ ١١٧.

ونشر الرذيلة وصنع الخمر واحتسائه ونشر الفساد بكل وسائل الإعلام .. إلخ فكان من ذلك كله مع ما وضعوه من علومهم العلمانية في قلوب المسلمين أن تغيبت القلوب عن نور الإيمان فيها واضطربت المفاهيم.

وبالقهر الذي أشاعه في النفوس باهر صناعاتهم، وخلط مفاهيم العلم لدى الكثيرين، فقد دخل الوجل إلى النفوس والشك إلى القلوب حتى قالوا في التفسير الوسيط قولاً أتينا به كمثال لما يعتور المجتمع الإسلامي اليوم من ضياع للحق في متاهات العلمانية وظلامها.

قالوا في التفسير الوسيط عن آيات الخلق الكوني[1] [وظاهر قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾ أن خلقه للسماوات خالية من العيب، متأخرة عن خلقه ما في الأرض جميعاً لنا، لأنه عطف عليه بلفظ "ثم" وهي للترتيب والتراخي.ولكن هذا الظاهر مخالف لنص آخر يقتضي تقدم خلق السماوات على دحو الأرض، فقد قال تعالى في سورة النازعات ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ . فهذا النص يدل على أن الله بنى السماء وأنشأها مرفوعة مسواة، وجعل ليلها مظلماً ، وأخرج فيها شمسها المضيئة، وبعد ذلك دحا الأرض، ورتب فيها منافعها، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرساها بالجبال حتى لا تميد بنا، وجعل ذلك متاعاً لنا ولأنعامنا.

---

(١) التفسير الوسيط الذي يصدر عن مجمع البحوث الإسلامية، أحد منظمات الأزهر الشريف، ص ٦٨-٦٩.

وهذا الذي قررته سورة النازعات، هو الذي يقول به أصحاب النظريات العلمية الحديثة !! وبما أن القرآن الكريم عودنا على أن لا تضارب بين نصوصه، فلذا يجب تأويل آية البقرة (٢٩) التي يفيد ظاهرها **تأخر خلق السماوات عن خلق ما في الأرض**، ليتفق مع الواقع الذي يفيده نص سورة النازعات، وهو **تأخر دحو الأرض** وخلق ما عليها، عن خلق السماوات وذلك بجعل "ثم" للعطف والترقي في الرتبة لا للتراخي الزمني. مثل ما نقول: [الناس طبقات: العامة ثم الخاصة]. انتهى

وواضح من هذا "التأويل" أن النظريات العلمانية الحديثة كانت الدافع الذي جعل مشايخ الأزهر الشريف يقولون بخلاف ما تعلموه صحيحاً في أمهات التفسير القرآني بل ويبتدعون قواعد لغوية ما أنزل الله بها من سلطان !!؟.

فنلاحظ على قولهم آنفاً ثلاث أمور:

الأول: أنه ابتدع قاعدة نحوية للفظ "ثم" **والثاني:** أنه فهم أن "خلق ما في الأرض" هو "دحو الأرض" **والثالث:** أنه لم يعرف ما قاله العلمانيون في خصوصية ما تم بعد خلق الأرض!

أما الأمر الأول: فلا يوجد في قواعد اللغة العربية قاعدة تقول: "ثم" للعطف والترقي!! ولكن القاعدة النحوية -وكل قواعد النحو مستنبطة من القرآن العظيم- هي: "ثم" حرف من حروف عطف النسق لمطلق الجمع وللترتيب والمهلة أي التراخي الزمني بين الحدث الذي وقع أولاً وهو الذي قبل "ثم" والحدث الذي وقع متراخياً أي بعد الأول وجاء بعد "ثم". فلفظ "ثم" حرف عطف للترتيب والمهلة أي الترتيب بانفصال.

إذاً ..

فما جاء في كلام "التفسير الوسيط" بأن "ثم" للترقي هو بدعة من قهر النفوس!!

أما مقولتهم التي ضربوا بها الأمثال؛ الناس طبقات: العامة ثم الخاصة؛ فهي مقولة خاطئة لأن "ثم" لا تقع بين اسمين وإنما لابد لها أن تكون بين فعلين .. لأن وظيفتها اللغوية هي ترتيب الأحداث.

أما ترتيب الأسماء فالصحيح أن يستعمل فيها حرف "الفاء" فهو حرف عطف لمطلق الجمع والترتيب أو التعقيب باتصال، فيقال: الناس طبقات: العامة فالخاصة[1] ..

وغفر الله لشيوخنا الافاضل.

وقديماً ..

في صدر الإسلام ...

جارت عقلانية المعتزلة على قواعد النحو وأصول التفسير، فأنكروا "الرؤية". أي رؤية الله العظيم في الآخرة .. فصوبهم الحنابلة بقواعد النحو، وأثبتوا بها "الرؤية".

أما عن الأمر الثاني: فواضح من سورة فصلت أن الله سبحانه خلق الأرض في يومين، وخلق ما فيها من رواسي وبركة وتقدير الأقوات بأعداد الأرض الصالحة للخير والبذور والغراس في يومين تاليين. لأن الله تبارك

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك جـ٣/٢٢٧ وشرح شذور الذهب/ ٤٤٥ وكتاب "النحو والصرف" للدكتور رمضان عبد التواب/ ٩٨، ٩٩.

وتعالى ذكر في آية البقرة ٢٩ خلق ما في الأرض تالياً لوجود الأرض بالضرورة بذكرها موضعاً لخلق ما فيها. فدل ذلك مع آية فصلت ١١ على أن خلق ما في الأرض أعقب خلق الأرض مباشرة.

وطبقاً لما ورد في سورة النازعات فإنه سبحانه بنى السماء في أحسن هيئة ورفع سمكها.

وبعد تمام ذلك فقد دحا الأرض بأن أخرج مها ماءها ومرعاها والجبال أرساها أي ثبتها.

وهذا الدحي الذي ورد حدوثه بالنص بعد بناء السماء ورفعها، لم يذكر الله سبحانه وتعالى أنه تم في مدة معينة وإنما تركه مجهلاً ومن ثم يستنبطه العلماء من عوامل السنن الكونية في الأرض .. حتى يتبينوا به ومع غيره كيف بدأ الخلق. أي خلق النبات والحيوان والإنسان.

ومن هنا نتأكد أن "خلق ما في الأرض" هو بمعنى إعدادها لأن تكون قابلة لثبات الجبال عليها وأن يكن بها هضاباً تكون قابلة وقائمة لنزول الأمطار عليها وإعداد أرضها بحيث يمكن أن تقبل شق الأنهار لها وإعداد الأرض بحيث تكون قابلة للغرس والزرع إذا ما جاءها الماء ..

أما "الدحى"

فهو إرساء الجبال فعلاً على الأرض لقوله تعالى "والجبال أرساها". ثم إخراج الماء من الأرض وكان الله قد أسكنها فيها فجعلها بحوراً فلما طلعت عليها الشمس بخرت منها بقدر قدره الله العظيم فكانت سحباً ساقتها الرياح طاعة للملائكة ﴿والزاجرات زجراً﴾ فهطلت أمطاراً نزلت على الجبال والهضاب فجرت بمياه ساقه الله في الأرض فشقت لها مجاري صارت أنهاراً

نزلت على الأرض التي كانت ميتة فأحياها الله بهذا الدحو فأخرجت مرعاها فهذا قوله تعالى "فأخرج منها ماءها ومرعاها".

من هذا نعلم مدى الفارق بين "خلق ما في الأرض" وبين "دحي الأرض" .. وبالتالي فإن الخلط بينها يؤدي إلى تجهيل وقائع خلق الأرض ووقائع إعدادها بوقائع دحيها ..

وأما الأمر الثالث: وهو الذي ذكر فيه التفسير الوسيط أن دحي الأرض الذي قررته سورة النازعات يتفق مع النظريات العلمية الحديثة؛ فهو أمر سبب التورط فيه هو كما بينّا آنفاً عدم التفرقة بين "خلق ما في الأرض" وبين "دحي الأرض" مع أن التفاسير القرآنية العمدة واضحة جلية بأقوال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه وابن عباس رضي الله عنهما وبقية أعلام السلف المفسرين وجهابذة الأئمة الأعلام.

وإذا كان ذلك، فإن عدم الإلمام بالنظريات العلمانية ساعد على التورط كذلك فيما قيل.

فالعلمانيون لا يعرفون دحى الأرض الذي قالته سورة النازعات، وإنما نظرياتهم تقول بأن الأرض بعد أن تناثرت شظية من الشمس أو نجم براق دارت كما يدور الذي تناثرت منه، وأدى هذا الدوران وهي في حالة لينة -لاحظ أنهم قالوا أنها كانت معادل ثقيلة وأحجاراً ملتهبة- فانبعج وسطها عند خط الاستواء نتيجة قوة الطرد المركزية بسبب دورانها حول نفسها، وترتب على انبعاج الوسط تفلطح القطبين.

وواضح أن قول العلمانيون لا صلة له من بعيد ولا من قريب بدحى الأرض في سورة النازعات.

ومن هنا نرى مدى عدم التوفيق الذي تردى فيه علماء الأزهر الشريف عن مقولتهم بأن الدحى في سورة النازعات يتفق مع النظريات العلمية الحديثة ..

وقس على ذلك أقوال الذين يتهكمون ويتندرون ويسبون ويشتمون الذين يتكلمون بكلام الله العظيم ويبيِّنون بحق التفسير وبصدق الاستدلال من قواعد اللغة المعاني الصحيحة للعلوم الطبيعية في القرآن العظيم.

وكما لم يوفق علماء الأزهر، فقد أخطأ "أستاذ دكتور متخصص في الطبيعة بجامعة الأزهر، لذات الأسباب، فقال في برنامج "حديث الروح" في التليفزيون المصري، بياناً عن خلق الأرض مفسراً شارحاً ذلك بتفسير قوله تبارك وتعالى ﴿والنجم إذا هوى﴾ فقال المقصود بالنجم هو الشمس و"إذا هوى" أي التي سقطت من السديم الأكبر، ورتب على ذلك أنه قد سقط من هذا النجم الذي هو الشمس قطعة فكانت هي الأرض.

بهذا المنطق الساذج والخطأ والجاهل الجميع معاً تكلم الأستاذ الدكتور أستاذ الطبيعة بجامعة الأزهر.

فإذا عرفنا أن قواعد اللغة العربية تقول إذا جاءت كلمة "إذا" مع الفعل الماضي أفادت المستقبل، كقوله تعالى: ﴿إذا جاءت الطامة﴾ و﴿إذا وقعت الواقعة﴾ ومثل ذلك كثير في كتاب الله العظيم وكلها تفيد المستقبل لأن يوم القيامة لم يقع بعد.

ويقول بعض أساتذة الطبيعة أن قول الله تعالى:

﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيءٍ حيٍ؛ أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء ٣٠).

يعني أن الكون كان سديماً أي رتقاً وتناثرت منه النجوم ومن أحدها الأرض وهذا هو الفتق.

وهذا المعنى يتناقض ويتعارض مع آيات البقرة وفصلت والنازعات.

والصحيح أن معنى رتقاً أي سداً وهو عكس الفتق وقال ابن عباس: كانت السماوات رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق للأرض أحياء فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات. لذلك عقَّب الله بقوله تعالى ﴿وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي﴾[1].

إذا علمنا ذلك

وعلمنا مدى تناقض القرآن مع العلمانيين

وعلمنا مدى تناقض العلمانيين بعضهم مع البعض

وعلمنا مدى تعارض أقوال العلمانيين مع منطق فكرهم وقول بعضهم لبعض.

وعلمنا مدى تعارض الفكر العلماني مع المنطق العقلاني البشري السليم.

وعلمنا مدى الخطأ الذي يتردى فيه العلمانيون ويعترفون به

إذا علمنا ذلك كله

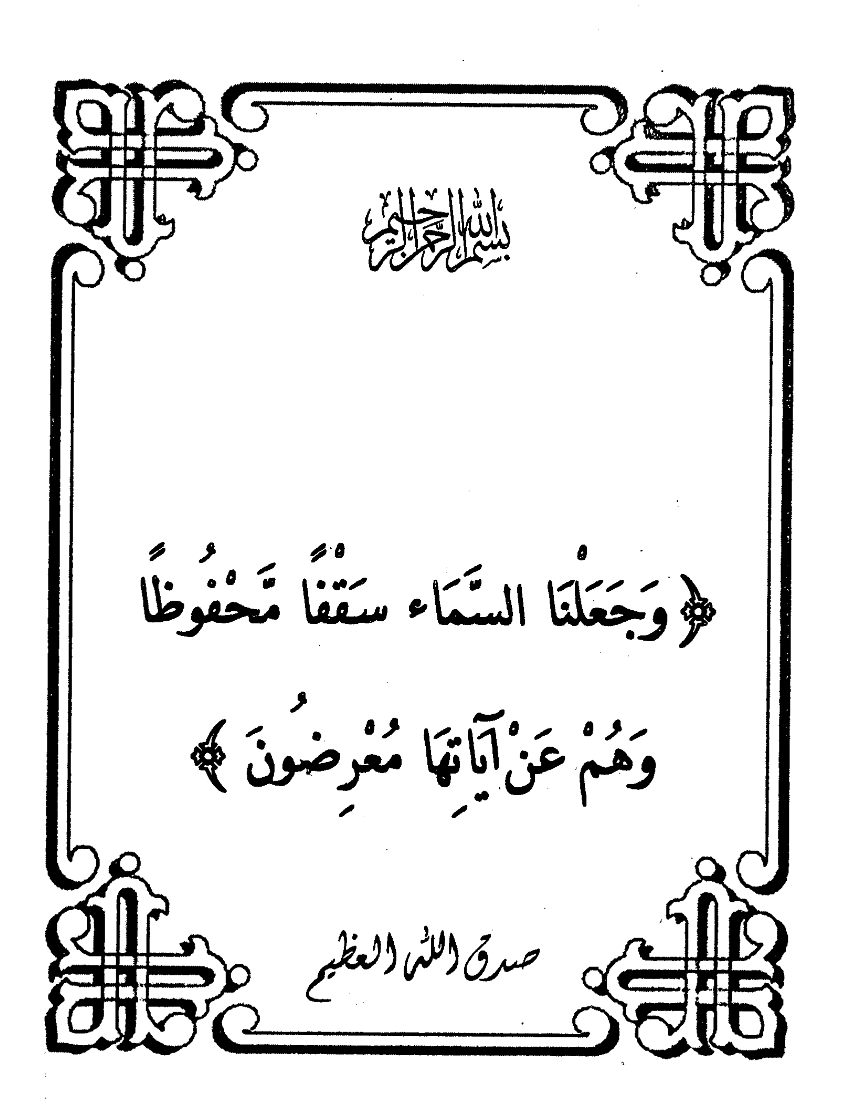
(١) تفسير ابن كثير جـ٣/١٧٧ والجلالين/ ٢٨٨ وصفوة التفاسير جـ٢/٢٦٥.

علمنا بالقطع مدى الخطأ الذي حدث من الأستاذ الدكتور ومن قال في القرآن مثل مقولته، ومدى الإثم الذي يقع فيه الكثيرون بالتعرض لتفسير آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وبالقهر في نفوسهم غلاب على فكرهم فيغشى الأبصار عن رؤية حق الله ويريم بظلمته على قلوب المؤمنين فيقعد بهم عن النهوض صالحين في نور كتاب الله وسننه الكونية فيعلنون بكل قوة الحق من ربهم ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ غير عابئين بالعلمانيين ورجسهم، موقنين أن الحق من عند الله وحده سبحانه وتعالى عما يشركون!.

قال تعالى:

﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ (غافر ٤).

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ (سبأ ٦).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا
وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾
صدق الله العظيم


هيئة الكون



هيئة الكون

عندما تعرض أينشتين لوصف الكون قال إنه علـــى شـــكل بالونـــة ضخمة مليئة بالأثير وتجري في هذا الأثير أكثر من نصف مليـــون مجـــرة نجمية؛ منها مجرة سكة التبانة أو الطريق اللبني التي نراها ليلاً وأن بـــداخل كل مجرة ملايين النجوم وأن كثيراً من النجوم تكون مركزاً لكواكب تـــدور حول النجم مثلها مثل المجموعة الشمسية التي تـــدور حـــول الشـــمس، وأن كوكب الأرض الذي يدور حول الشمس (!) ليس وحيداً، بل مثله الملايين في المجرات النجمية المختلفة وأنه لاشك هناك من البشر ما هم مثلنا أو أكثـــر رقياً وتقدماً.

وقال الماديون أن كلمة "السماوات" ليس لها وجود في الكون إنما هي كلمة وجودها قائم في الكتب الدينية، أما الذي يراه الناس فهو الغلاف الجوي والذي يطلق عليه العامة اسم السماء !!.

أما الخالق العظيم فقد أخبر أنه خلق الأرض سبعاً طباقاً كذلك السماء سبعاً طباقاً، وأن شكل الأرض كالكرة، فيقول سبحانه: ﴿ **ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** ﴾.

ولأن الليل والنهار من الظواهر الفلكية علـــى وجـــه الأرض. فـــإن استعمال لفظ "يكور" يعطينـــا صـــورة الأرض بأنهـــا كـــالكرة، وإن كـــان الجغرافيون والفلكيون يقولون إن الأرض ليست صادقة الاستدارة، فإن ذلـــك لا يعني أنها ليست على هيئة الكرة ثم إن ذلك قد ثبت بالرؤية البصرية فعلاً في تجارب الفضاء.

وإن كان الليل والنهار آيتين من آيات الله، فإن قدرة الله قد جعلتهـا كذلك ليتوافق الخلق الكوني مع فطرة الإنسان في أن يكون الليل له لباسـاً، والنهار معاشاً، ومن ثم كان لابد وأن تكون الأرض كروية الشكل ليجـري حولها الليل والنهار ﴿وكلٌ في فلك يسبحون﴾ (يس والأنبياء).

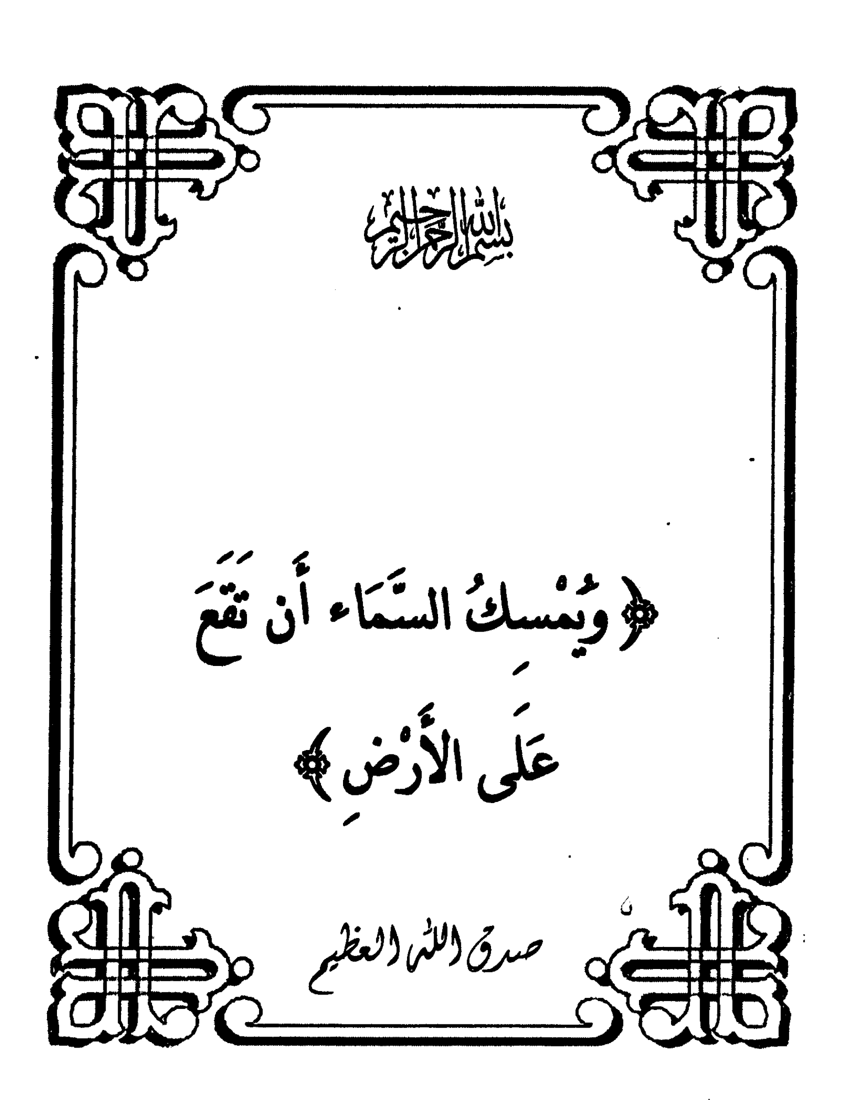
حيث ثبت أن الأرض أقدم في خلقها من خلق الشـمس بحـوالي ٩ مليار سنة، فإن الزعم بدوران الأرض حول الشمس يكون قولاً خرفاً لفقدانه الأساس العلمي.

ولأن السماء تحيط بالأرض وسقفاً لها، فإن السـماء تأخـذ شـكل الأرض الكروي بالضرورة، ولأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بـأن السـماء سبعاً طباقاً وأنه زين السماء الدنيا بالنجوم؟

فإن ذلك يعني أن المجرات النجمية إنما هي قاصر وجودها على هذه السماء الأولى وحدها فقط أما السماوات الستة التي فوقها، فقد أوحى الله في كل سماء أمرها، مُنكر لفظ (أمرها) ومن ثم فهو غيب لم يفصح عنه الخالق العظيم. كما أنه ليس هناك دليل مادي يخالف ذلك بل إن تجارب الفضاء في (فسخود ٢ الروسية) أيدت القرآن وكذبت إخوة الشيطان.

ولأن كوكب الأرض بينه وبين السماء مكاناً تجـري فيـه الريـاح والسحب ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة ١٦٤)، فإن الأرض لا تكون داخل السماء أي ليست داخـل مجـرة نجمية.

ولما كان ذلك، ولما كان في قوله تعـالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ (نوح ١٥-١٦). ما يفيد أن القمر والشمس يقومان بعملهما في السماوات السبع، فإن القول بعدم وجـود سماوات إلا في الكتب الدينية يكون مجافياً للواقع الكوني المرئي.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ﴾
صدق الله العظيم




أساس
علوم الطبيعة



وبهذا ..

يكن التأكيد الإلهي على خلق الأرض قبل كل ما في الكون

من واقع آية البقرة ٢٩ وبتفصيل آيـات سـورة فصـلت وسـورة النازعات.

وبإثبات فساد الفكر العلماني كله بتجارب الفضاء التـي قـام بهـا العلمانيون فأثبتت أن الأرض خلقت قبل الشمس بتسعة مليارات سنة وهو ما يهوي بكل نظرياتهم إلى قاع الضلال والبطلان.

وهو تأكيد على بيان مراحل خلق ما اشـتمل عليـه الكـون إثباتـاً للمعرفة بالله الخالق العظيم وإثباتاً لألوهية الرسالة القرآنية وإثباتـاً لرسـالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وبياناً أكيداً بجمود الأرض عن أي حركة وأنها نواة هذه السماوات السبعة جميعاً.

ومن ثم ..

فإن معرفة حقيقة خلق الكون وحقيقة ترتيب مكوناته، هي ذروة سنام الإثبات العقلي للألوهية.

فإذا كان ذلك من واقع كلمات الله التامات في القرآن العظيم، وشهادة التجارب الفضائية المادية، فقد ثبتت الأحدية الإلهية وصدقت الرسالة وصدق الرسول.

***

والتأكيد على خلق الأرض أولاً وقبل كل شيء والتيقن من أن الأرض أيدروجينياً بالتسلسل التراجعي لمراحل تكوينها أكبر كتلة من كل النجوم في السماوات التي وصفها رب العالمين يوم القيامة بأنها ﴿يومئذٍ واهية﴾ وأنها ﴿مطويات بيمينه﴾، ﴿وإذا السماء كشطت﴾، مع ذكر حالة الأرض بأنها ﴿جميعاً قبضته﴾ وهو ما يدل على أن السماوات مثل بضعة أوراق أما الأرض فجرم له كتلة هائلة وثقيلة تملأ قبضة الرحمن ..

فإن ذلك

بيقين الإثبات المادي العلمي يعطينا الحقائق الآتية أساساً لعلوم الطبيعة:

أولاً: أن الأرض قبل كل شيء من عالم الشهادة في الكون قد خلقت، ثم خلق الله العظيم السماء سقفاً لها، ولأن الأرض على هيئة الكرة فالسماء تحيطها من جوانبها كالسوار حول المعصم. قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾.

ثانياً: ولأن السماء سقف للأرض، فجعل الخالق العظيم بين الأرض والسماء مكاناً (ما بينهما) تجري فيه الطيور والرياح والسحب (٧٩ النحل) و(٦٤ البقرة).

ثالثاً: أن الأرض ثابتة في مركز السماوات السبع يدور حولها الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم والكواكب من الشرق إلى الغرب كل في فلكه الخاص به.

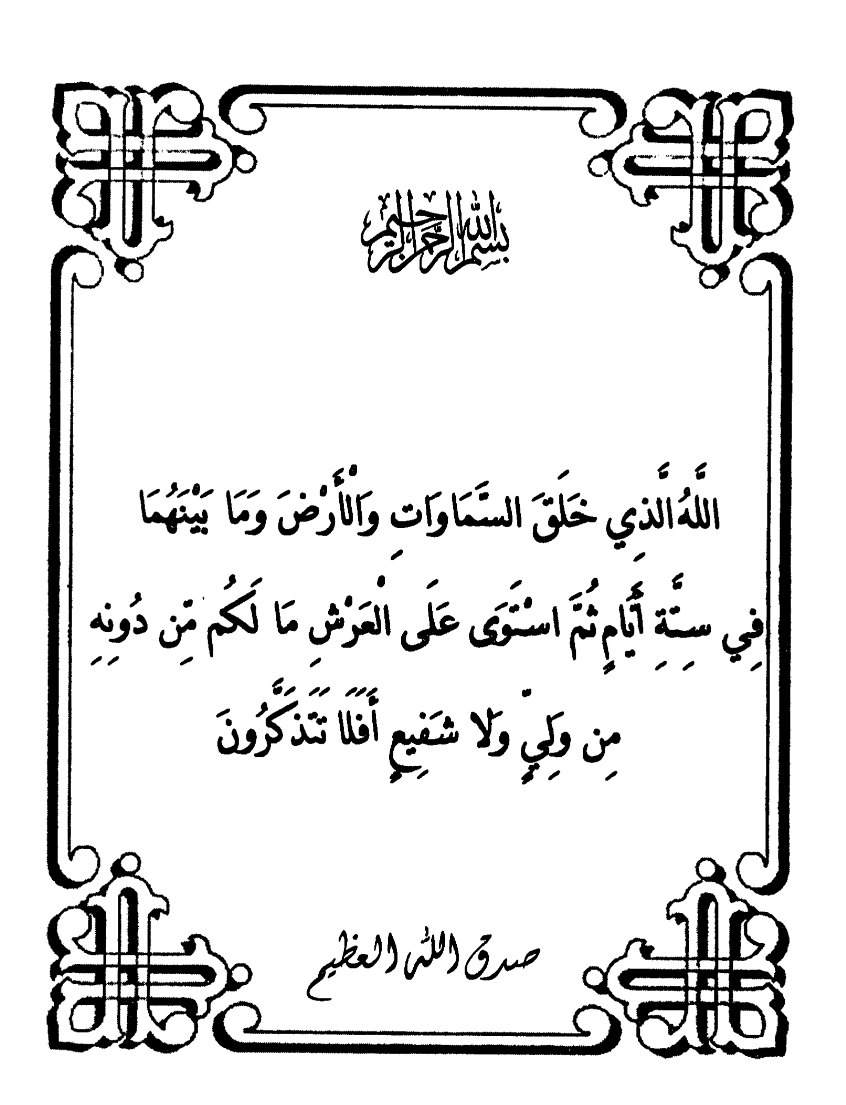
رابعاً: أن الشمس والقمر خلقهما رب العالمين خلقا فريداً وَجعل لهما مكاناً قريباً جداً من الأرض بعد خلق الأرض بوقت طويل ومكاناً خاصاً بالنسبة إلى السماوات السبع (نوح ١٥-١٦). فهما ليسا في أي مجرة نجمية.

خامساً: أن النجوم في المجرات النجمية ومنها مجرة سكة التبانة أو الطريق اللبني تقع في أبعاد سحيقة جداً جداً تبلغ آلاف السنين الضوئية.

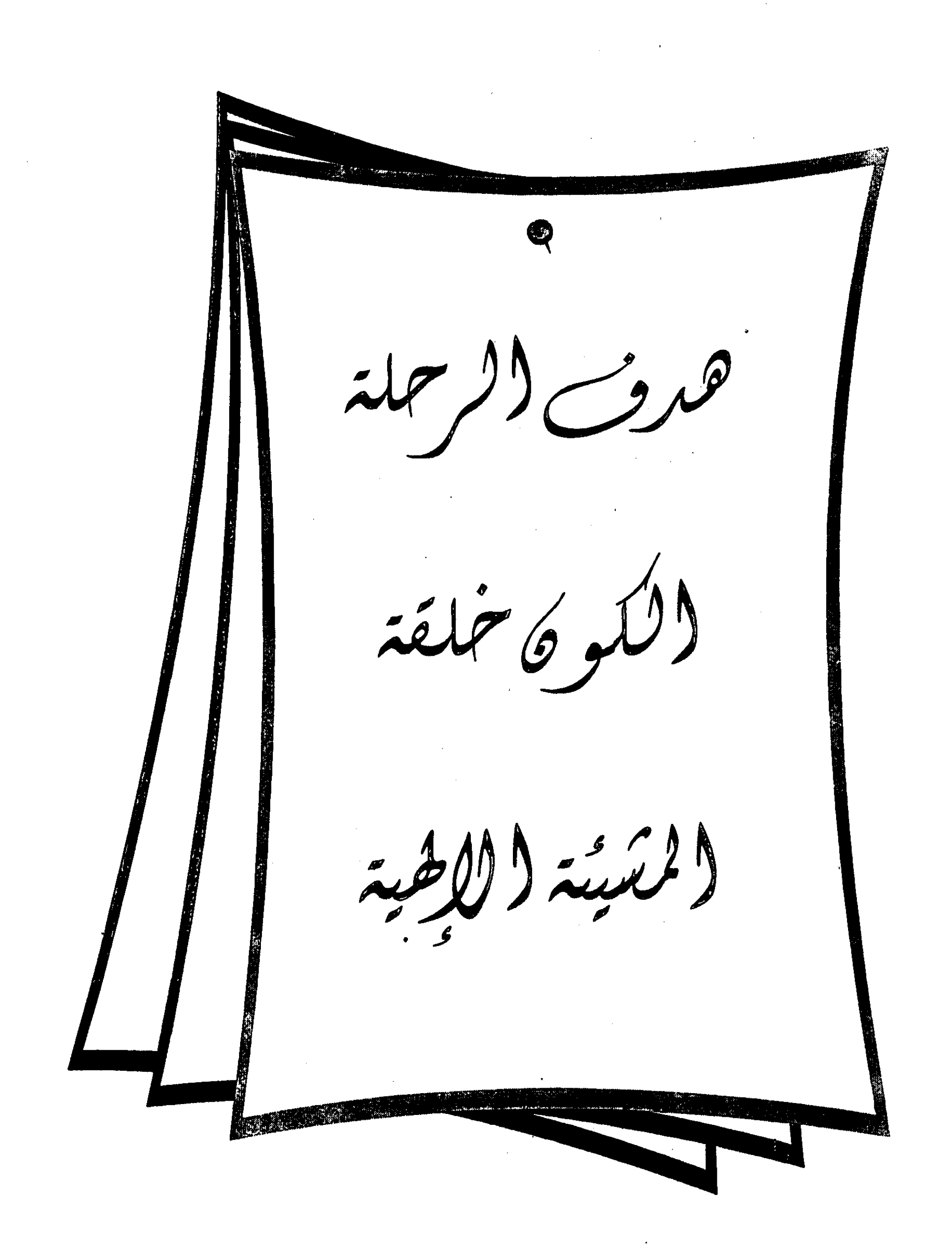
سادساً: أن الأرض لم تخلق من نجم دارت حوله كما يدور بقوة الطرد المركزية. ومن ثم فالأرض جامدة تماماً.

سابعاً: أن الأرض هي مركز الكون ولا يوجد أرض أخرى كما لا يوجد خلق آخرين. بدليل انفراد الأرض بمركز الكون وبدليل أن كل ما في السماوات السبع مسخر لأهل الأرض. قال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾ (الجاثية ١٣). فجميع ما في السماوات مسخر لأهل الأرض فقط بدليل كلمة (لكم).




بسم الله الرحمن الرحيم
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ
مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
صدق الله العظيم




هدف الرحلة
الكون خلقة
المشيئة الإلهية

هدف الرحلة

الكون خلقة المشيئة الإلهية

اهتم العلي العظيم أكبر الاهتمام ببيان علم الطبيعة بفروعه المختلفة، فلم يترك شيئاً في هذا العلم إلا وفصله تفصيلاً مذهلاً.

فهو سبحانه وتعالى قد بين لنا البداية قبل هذا الكون بأن عرضه المجيد كان على الماء التي لا نعرف لها حجماً ولا كتلة، ثم بين لنا المصدر الذي كان منه الكون بأنه كان من الماء، فأخبرنا سبحانه بأنه فلق بعض الماء وخلق من ذلك السماوات والأرض وما بينهما، وحدد مدة الخلق بأنها ستة أيام ثم ذكر تفصيلاً ماذا خلق أولاً ثم ماذا خلق فيما خلق ثم ماذا خلق ثالثاً ثم أتبع ذلك بيان دحيه للأرض حتى تصير صالحة للخلافة والابتلاء بعد بناء السماء سبعاً طباقاً ورفعها وخلق النجوم زينة للسماء الدنيا وحفظاً.

ولم يتركنا رب العالمين نهباً للتساؤل والشطط حتى لا ندخل في متاهات الضلال ..

فحدد لنا بكل معاني التحديد أن هذا الكون غيبه وشهادته قد خلق في زمن معين وضحه سبحانه بأنه ستة أيام عند الله فدحض كل تخرصات العلمانيين وأسدل ستار القدرة الإلهية على أعراف القصور الإنساني وظنه الساذج، فأظهر للمؤمنين رحمة اليقين فلم يربط هذه الأيام بمقياس البشر وترك ذلك للبحث العلمي-حتى يروا آيات الله تعالى في عظيم خلقه ويتبين

لهم أنه سبحانه وتعالى الحق الذي خلق كل شيء بكن فيكون بالحق ولأجل مسمى عنده.

وإذا كان ذلك فإن علماً كبيراً وبحثاً فريداً قد يعرف منه "حجم" الكون، كتلة الأرض وكتلة السماء وما فيها وما يزيد في الكون باستمرار، وقد يجليه رب العالمين لأحد من جنوده في الأرض في قابل الأيام.

***

ولما كان رب العالمين قد قال هذا العلم وحياً لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فإنما بالتعبير العلمي الدقيق ليكون واقع السنن الكونية للناس شاهداً على صدق رسوله الكريم، فذكر "الذرة" مسبوقة دائماً بكلمة "مثقال" ولم يقل الوزن. وتبين لنا حديثاً جداً أن الذرة لا يعرف عنصرها إلا بوزنها الذري. وذكر سبحانه وتعالى تفصيلاً للجسيمات – أحدث فروع علم الفيزيقا – في صدر سورة سبأ وغيرها فأخبرنا سبحانه عما هو أصغر من الذرة وهي ما يطلق عليها كلمة الجسيمات، وهو العلم الذي يدعى العاملون في حقله أن الكون أصله "جسيماً" لا يرى حوى كتلة الكون كله فيه (؟!).

***

وبالإضافة إلى ما بيناه من الفائدة العلمية لمعرفة صحيح علم الطبيعة ومن ثم كثير من علوم السنن الكونية.

فإن في بيان حقيقة ترتيب الخلق زيادة تأصيل وتأكيد للحقيقة الكبرى التي منها كل الحقائق، ألا وهي حقيقة الألوهية الأحدية للخالق الواحد لكل شيء بالحق ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾..

ذلك بأن القول بوجود الكون تلقائياً من "جسيم" حجمه رياضياً يساوي صفراً أو من "الحالة المنفردة" يعطي للإنسان مقولة الكفر تلقائياً في أن الكون جاء هكذا مصادفة!!.

لأنه في هذه الحالة لا يكون خلقاً وإنما يكون إيجاداً بالصدفة وبغير مشيئة وبالتالي أيضاً فإنه يكون نفياً للألوهية وما بعدها.

لأنه لو أن الأمر هكذا لكان الأمر كما يقول الملحدون، الطبيعة ولا موجد لها، وأن الإنسان وغيره بالتالي أبناء هذه الطبيعة التلقائية. وهو ما يعارض القرآن في كل ما قاله عن البداية والنهاية وما بينهما وشرحنا الصدور لمقولة النشوء والارتقاء ونفينا النشأة الأولى ثم آدم كأول الخلق في الحياة الدنيا وحواء زوجه وما بث منهما رجالاً كثيراً ونساء.

ولو أن الأمر هكذا كما يقول الملحدون العلمانيون، لكان لنا أن نقول أن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمعوثين، فكان ديدننا اللهو واللعب بما فيهما من العبث والمباذل والمزيد منه والغوص فيه ..

لهذا ...

وجدنا الملحدون العلمانيون باعوا بحياتهم إلى اللهو ومزيد من اللهو والفجور ومزيد من الانحلال حتى وصل إلى زواج الرجل بالرجل وإلى الكشف عن سنن التخريب والقتل بالملايين كما استعملوها في اليابان وكما يهددون بها كل من يعارضهم في هذه الأرض ...

لهذا كله ...

بين لنا ربنا العظيم الحكمة من معرفة الخالق والخلق في آية واحدة (٧ هود) فذكر فيها أنه سبحانه الخالق وأن السبب في الخلق هو الخلافة أما العلة فهي الابتلاء والبعث، وأما الحكمة فهي الحساب والجزاء .. جنة .. أو نار.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ (يا محمد) إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

ونفى أن يكون الخلق تلقائياً أو من غير خالق أو بغير علة؛ وبالتالي لا يكون إلا لعباً كما جاء من العلمانيين.

فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ (الدخان ٣٨).

ذلك أنه طلما لا يوجد خالق فلا حساب ولا يكون إلا التمتع المادي الغريزي بالحياة. أو كما قال فلاسفتهم [اللذة والمنفعة].

لذلك عقب سبحانه على ذلك بالنفي القاطع والتأكيد اليقين فقال جل جلاله:

﴿ ما خلقناهما (السماء والأرض) إلا بالحق ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الدخان ٣٩).

والحق هو أن الله هو الخالق وأن البعث والجزاء واقع. لذلك أعقب الله سبحانه هذه الآية بالتهديد ...

﴿ إن يوم الفصل (يوم الحساب) ميقاتهم أجمعين ﴾ (الدخان ٤٠).

***

من هذا نفهم بعمق الفكر الرشيد أن معرفة الخالق بكيف الخلق من القرآن وعلوم الكون، إنما هو السبيل الوحيد الذي يؤدي إلى اليقين بالله والبعث. فنتقي الله سبحانه ونخافه فلا يكون منا إلا العمل الصالح.

ذلك أنه بدون اليقين بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وأننا إليه مبعوثون للحساب، لكان إيماننا عمها متردداً، ومنه تأتي الإرهاصات المتفرقة، والخلط بين الصالح والفاسد عمداً أو بغير اكتراث، كالصلاة لله مع الحكم بغير الشريعة الإسلامية! والإيمان بالله مع تصديق النظريات العلمانية! وصلاة المرأة بلباس الحجاب ثم نزعها له بعد الصلاة والخروج إلى الشارع كاسية عارية، أو اختلاطها بغير محارمها على انفراد، وكإذاعة الفجور ثم إذاعة الأذان للصالة وكالإدعاء بالإيمان وتصنيع الخمور والاتجار فيها والتعامل بالربا ولعب الميسر ... إلخ.

لذلك ...

يحكى أن عجلاً سأل أباه الطور:

لماذا يا أبي الطور جعل الله هذا الجبل يكاد يطبق على النهر فلم يترك لنا وادياً واسعاً لزيادة زراعة البرسيم؟.

فأجابه أبوه الطور، يا بني العجل إننا نأكل طول السنة ونشبع ويزيد البرسيم عن حاجتنا فيجف وتعصف به الريح، إننا لسنا في حاجة إلى المزيد.

وسأل التلميذ أستاذه:

ألم يكن من الأفضل أن يكون الوادي فسيحاً فلا ينكفئ هذا الجبل هكذا على النهر حتى يضيق على الزرع والضرع.

أجاب الأستاذ:

ألم تسمع يا بني التلميذ قول الخالق العظيم: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾، وقوله سبحانه: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً﴾ (النحل ١٥).

يا بني التلميذ ...

إن الله خلق كل شيء وقدره تقديراً وله نفع عظيم وبركة من الله أكبر، ولحكمة بالغة؛ ورأس الحكمة مخافة الله.

يا بني التلميذ ...

إنك لن تعرف "الحكمة" إلا إذا عرفت "الخلق" فلا تأس على القوم الجاهلين.

***

ومن ثم ...

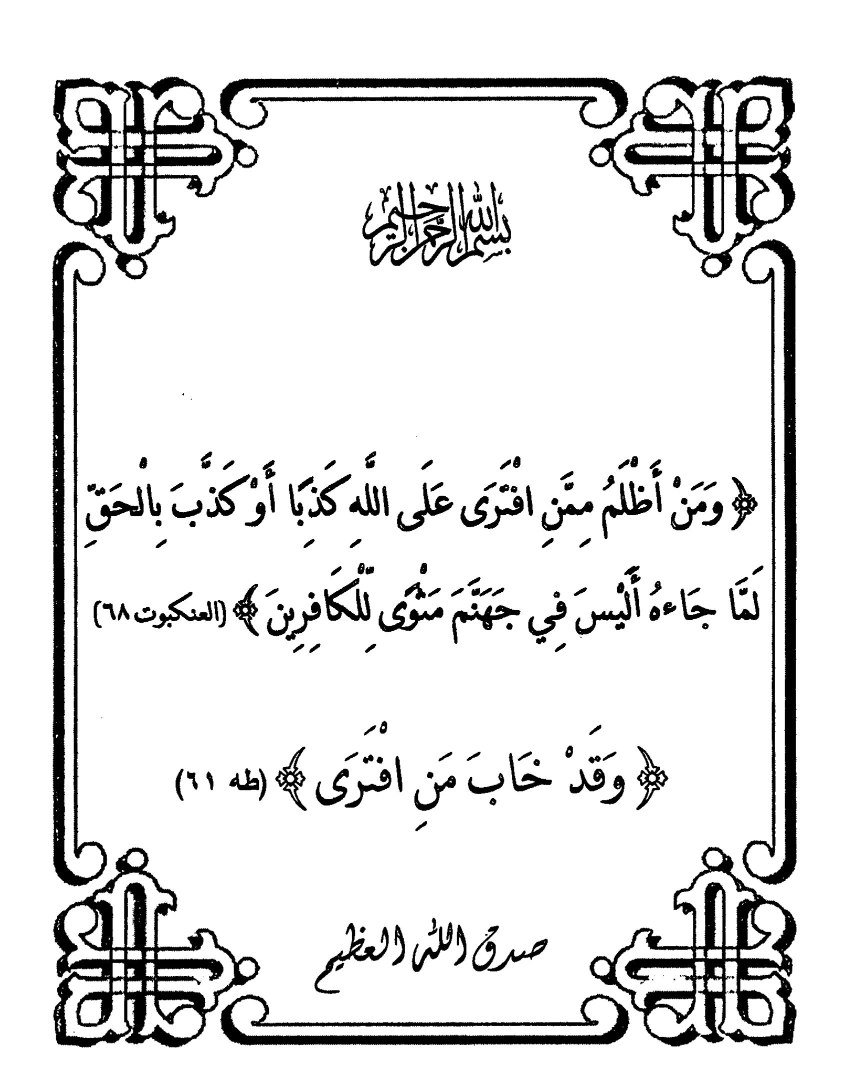
وبالتالي ...

نعلم أن الفارق بين الفكر العلماني وبين الحق القرآني وقد انحصر في: (١) مادة الخلق. (٢) وكيف بدأ الخلق. (٣) وترتيب الخلق، ثم تبلور كل ذلك في أهم أمر ألا وهو أن الخلق لدى العلمانيين قد تم هكذا بالصدفة ومن غير خالق ولغير حكمة ولا هدف. والقرآن العظيم على عكس هذا تماماً فإنه يؤكد أن الخلق تم وكان من قبله وجود وأن الله هو الخالق العظيم وأنه خلق الكون لهدف معين وحكمة محددة.

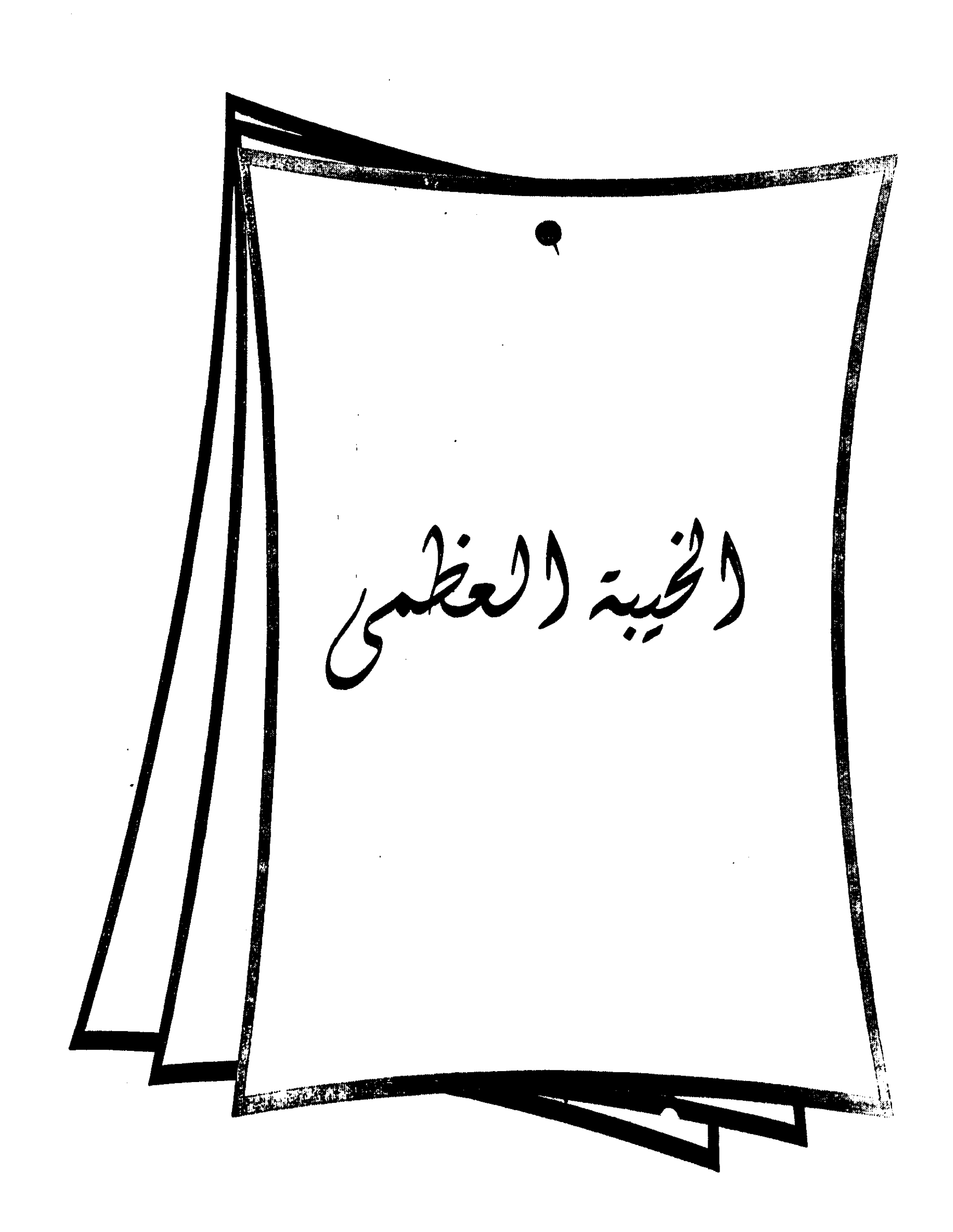
لهذا فإن الإجابة على كل هذا يفرق بين باطل العلمانيين ومن ثم كل الضياع في هذه الحياة. وبين الحق القرآني ومن ثم كل اليقين بـــالله العظـــيم وكتابه المجيد ورسوله الرحمة للعالمين واليوم الآخر ...

ولعلنا نكون قد أجبنا وأقنعنا ... والله يهدي مـــن يشـــاء أن يهتـــدي ويضل الكافرين. والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم النبيين وفيض رحمة الله للعالمين.




بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (العنكبوت ٦٨)
﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ (طه ٦١)
صدق الله العظيم




الخيبة العظمى



الخيبة العظمى

في مايو سنة ٩٢ رصد القمر الصناعي الأمريكي "كـوب " وجـود كمية مهولة الحجم من الدخان الأسود المعتم عنـد حافـة الكـون (ولـيس المجرة)! ينتشر لمسافة ٩٤ مليار تريليون كيلومتراً حول الكـون وعمـره حوالي ١٥ مليار سنة. ويشكل هذا الدخان ٩٠% من كتلة الكون! أما الباقي وهو ١٠% فهو الذي تكثف نجوماً ومجراتًا وكواكباً ورأي العلماء أن هـذا الكشف يؤيد؟! حدوث الانفجار العظيم منذ ١٥ مليار سنة! (تعليق للمرحـوم الدكتور منصور محمد حسب النبي في جريدة الأهرام ملحق الجمعة ص١٤ يوم ٢٢/٥ /١٩٩٢). وكان يرى بعض العلماء (على رأسهم أينشتين) أن هذه النظرية غير صحيحة لأنه قد ثبت أولاً أن كل المجموعة الشمسية قد نشأت من المادة وليس المادة المضادة كما أن رحلات الفضاء الأخيرة أيدت ذلـك، هذا فضلاً عن تعارضها مع نظرية النسبية العامة فـي المتصـل الزمـاني والمكاني..... إلخ إلخ (راجع IMPACT عن اليونسكو العـدد ٣٥ وراجـع رسالة اليونسكو العدد ٢٨٠)، وراجع ما سبق أن كتبناه في هذا الكتاب- في فصل القرآن والمعاصرة و"بداية الخلق")

وسبق أن قلنا ١٩٨٦[١] أن حكاية "الفرقعة الكبرى" هي مجرد "وهم" سيطر علي عقول الماديين إذ نسوا أن الصوت لا يوجد له تموجات إلا فـي وسط جوي. ووقت وقوع الانفجار العظيم لم يكن يوجد بعد وسط جوي!

---

(١) تاريخ نشر أول طبعة من هذا الكتاب.

. كما أن هذه النظرية لا تفسر وجود الأكسجين والماء الموجودين في الأرض ومن ثم فالادعاء بأن نظرية الانفجار العظيم هي حقيقة علمية هو ادعاء علي غير أساس علمي حقيقي كما يكذبها أيضاً استمرار نشأة المجرات النجمية الهائلة بصفة مستمرة حتى الآن.. واستمرار خلق ذرات الحديد ودخولها إلى أثير الكون بكميات هائلة ... حتى الآن.

كما أن الادعاء بأن أصل الكون هو "الدخان " هو ادعاء مقلوب المنطق لأن الدخان لابد أن يسبقه نار وحريق لمادة أو عنصر قد أنشطر نووياً... وبقدر هذه المادة أو العنصر يكون قدر النار أو الحريق وقدر الدخان المتصاعد منه وذلك متناقض تماماً مع مقولة الأساس في هذه النظرية من أن البداية كان بروتونا أو عنصرا أو مادة كتلتها ٩ كجم.

هذا؛ فضلاً عن تناقض البداية والنهاية لهذه النظرية لصريح آيات القرآن الكريم -في الآية ٢٩ البقرة وآيات فصلت من ٩-١٢ وسورة النازعات- كما سيلي بعد.

نظرية الرتق والفتق

وفي محاولة لتطويع معاني القرآن الكريم والاجتراء عليه، فقد قال بعضهم بأن الآية الكريمة ﴿**أو لم ير الذين كفروا أنَّ السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون**﴾ (الأنبياء ٣٠) هي التي تخبر بكل الوضوح عن بداية الخلق من أنه كان رتقاً حجمه رياضياً يساوي صفر وتقف عنده قوانين الطبيعة عاجزة عن تفسيره وأنه انفجر!!... ثم ردد كل الكلام الذي قيل عن نظرية الانفجار العظيم من أنه صار دخاناً ومن الدخان تم خلق السماوات والنجوم و الكواكب علي مراحل أربعة هي مرحلة الرتق

والفتق والدخان والإتيان، مكملا الآية السابقة بقوله سبحانه وتعالي ﴿ثم استوي إلي السماء وهي دخان وقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين﴾ (فصلت ١١) ثم قال بأن " الكون " سينسحق انسحاقا عظيما فيرتد "رتقا" مرة أخري ثم ينفجر الرتق وهكذا دواليك...

ولبيان "تاريخ" تفسير أية الأنبياء ٣٠...عند السلف الصالح..

فقد قال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في فتوحاته المكية بعد ما ذكر أن أول ما خلق الله القلم الأسمى، ما نصه: (ثم غمس قلم الإرادة في مداد العلم وخط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون كل ما كان وما هو كائن وسيكون وما لا يكون مما لو شاء- وهو لا يشاء- أن يكون لكان كيف يكون، من قدرة المعلوم الموزون، وعلمه الكريم المخزون. فسبحان ربك رب العزة عما يصفون. ذلك الله الواحد الأحد، فتعالي عما أشرك به المشركون. فكان أول اسم كتبه القلم الأسمي دون غيره من الأسماء إني أريد أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذي هو ملكك فأخلق جوهرة الماء، فخلقتها دون حجاب العزة الأحمى، وأنا على ما كنت عليه ولا شيء معي في عما. فخلق الماء سبحانه بردة جامدة كالجوهرة في الاستدارة والبياض وأودع فيها بالقوة ذوات الأجسام وذوات الأعراض. ثم خلق العرش واستوي عليه اسم الرحمن، ونصب الكرسي وتدلت إليه القدمان. فنظر بعين الجلال إلي تلك الجوهرة فذابت حياءً وتحللت أجزاؤها فسالت ماءً. وكان عرشه علي ذلك الماء قبل وجود الأرض والسماء. وليس في الوجود إذ ذاك إلا حقائق المستوي عليه والمستوي والاستواء. فأرسل النفسَ فتموج الماء من زعزعة، وأزبد وصوت بحمد المحمود الحق عندما ضرب بساحل العرش فاهتز الساق وقال له أنا أحمد، فخجل الماء ورجع القهقري يريد ثَبْجَةُ، وترك زبده

بالساحل الذي أنتجه، فهو مُخْضَنَةُ ذلك الماء الحاوي على أكثر الأشياء. فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الأرض مستديرة النشء مدحية الطول والعرض، ثم أنشا الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها، ففتق فيه السماوات العلا وجعله محل الأنوار ومنازل الملأ الأعلى. وقابل بنجومها المزينة لها النيرات ما زين به الأرض من أزهار النبات) وواضح مما تقدم أن ابن عربي لم يذكر "رتقا" وإنما ذكر " الماء" الذي تحت العرش وأن الله سبحانه وتعالي خلق من زبد ذلك الماء الأرض. ثم كان الدخان ففتقه سبع سماوات. ويقول علم الكيمياء أن الماء مكون من عنصري الأيدروجين والأكسجين وأنه إذاً مر به تيار كهربائى فصل العنصرين عن بعضهما. فهل يجوز أن نقول الماء رتقا ففتق أي انشق أم الصحيح انفصل عنصريه وأصبح كل عنصر على حدة. وان الله سبحانه خلق من الأيدروجين- بعد تفجيره نوويا أي فلقه ذريا الأرض... إلخ كما نبين بعد

وواضح مما تقدم أن الرتق لم يكن بروتونا ولا مادة كتلتها ٩ كجم وإنما كان يوجد ماءً ضخماً مقدساً يحمل عرش الرحمن المحيط بكل شيء... لا يجوز وصفه بأنه رتق.

وأن الأرض خلقت أولا من الماء، وأن الدخان بني فكان سبع سماوات.

وإذا قرأنا الآية الكريمة (الأنبياء٣٠) وأعربنا كلماتها فإن معناها يظهر بوضوح ويتجلي للأفهام ويبين المعنى للعقول فكلمة (أنَّ) حرف توكيد ونصب والسماوات أسم أنَّ والأرض معطوف على السماوات منصوب. و"كانتا رتقا " خبر أنّ في محل رفع " ففتقناهما " الفاء حرف عطف نسق لمطلق الجمع والترتيب باتصال. أي أن السماوات كانت موجودة فعلا والأرض كانت موجودة فعلا والا ما كان يجوز استعمال الفاء ولذلك جاءت "ففتقناهما " بالمثنى في "هما".

ولأن السماوات كانت موجودة والأرض كانت موجودة فلا يجوز عقلا أن نفتقهما (نشقهما) كلا من الآخر لأنهما كانتا منفصلتان ومن ثم فإن المنطقي عقلا أن نفتق السماوات وأن نفتق الأرض، يؤيد ذلك أن كلمة " رتقاً " مفرد، فلو كانت السماوات والأرض رتقاً واحداً أي سداً واحداً لجاءت بالضرورة كلمة الفتق بالمفرد أيضا فيقال " ففتقناه ".

ومن ثم فمفهوم الآية أن السماوات كانت رتقا والأرض كانت أيضا رتقا ففتقهما العلي الكبير. فتق السماوات بالمطر وفتق الأرض بالنبات وكذلك قال أبن عباس. عن (جميع التفاسير القرآنية). ولذلك بين الله سبحانه أداة الفتق بأنها الماء فقال تبارك وتعالى في نفس الآية المباركة "وجعلنا من الماء كل شيء حي " وهذا هو الذي يتفق مع معنى "الفتق" بأنه الشق وليس التفجير أو أي شيء آخر.

أما خلق الأرض فكان بالفلق وليس بالفتق. كما نبين في حينه إن شاء الله أما القول بأن آية الأنبياء٣٠ هي آية محكمة فذلك قول لا صلة له بقواعد علم أصول الفقه الذي يبين ما هي الآية المحكمة من غيرها فيقول الأئمة الأربعة مستنبطي قواعد أصول الفقه من القرآن الكريم بأن الآية المحكمة هي التي تدل علي المراد منها بنفسها من غير اشتباه ولا احتمال تأويل ولا اختلاف (" علم أصول الفقه " للشيخ عبد الوهاب خلاف " أصول الفقه " للشيخ محمد أبو زهرة).

أما إذا كانت ألفاظ الآية لا تدل علي المراد منها بنفسها او تدل علي معني ويحتمل أن يراد منها غيره فتلك الآيات إما مجملة أو مبهمة أو من متشابه القرآن العظيم.

لذلك، نرى القائل بآية الأنبياء قد استعان بآية الدخان (فصلت ١١) ليبين المعنى الذي ادعاه فضلا عن الاختلاف في تفسيرها بين الأئمة وعدم توافق

التفسير مع قواعد النحو وبالتالي فهو تفسير أعوج مع أن القــرآن ﴿غيرذي عوج﴾.

فالآيات المبهمة والمجملة والمتشابهة ليست جميعا من محكم القــرآن الكريم، فلعل هؤلاء المتكلمين يدرسون علوم لغة القــرآن وعلــوم تفســيره وعلوم أصول فقهه.

التأويل والتأول

عندما يأتي لفظ في القرآن العظيم بمعنى معين فأن قاعدة "النســق القرآنــي وقاعدة السياق القرآني تأبيان أن يأتي نفس اللفظ بمعنى يناقضه أو يخالفه في آية أخرى.

فمثلاً كلمة " يوم " تعني في القــرآن النهــار فقــط لقولــه تعــالى: ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ (الحاقة ٧)، فإذا جاءت كلمــة يوم بعد ذلك في أي آية فلابد أنها تعني النهار فقط مهما طال هــذا النهــار فصار ألف سنة أو خمسين ألف سنه أو أطول من ذلك في علم الله وحده.

وكلمة " فتق " معناها " شق " في كلام العرب الذي نزل به القــرآن "لعلكم تعقلون" ولا يجوز أن نأولها إلي معنى الانفجار لأنه غير الشق الــذي يتصل بالضرورة في أوله وآخره بالرتق.

وكلمة " قضاهن " في قوله تعالى " فقضاهن سبع سماوات" فصــلت ١٢ تعني في السياق القرآني "حكمهن" لقوله تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ وقوله عز من قائل ﴿فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياةالدنيا﴾ (طه ٧٢) وذلك كله بمعني حكم، وحكم الله منذ الأزل.

وإذا ذهب أحد إلي القول بأن كلمة يوم يعني مرحلة وكلمــة الفتــق يعني الانفجار وكلمة قضاهن يعني خلقهن أو سواهن بغير دليل شرعي، فأنه يكون متأولاً اتبع غير سبيل العلم الفقهى لكتاب الله ("علم أصول الفقه" للشيخ عبد الوهاب خلاف) لأن القاعدة هي أن الأصل عدم صرف اللفظ عن ظاهر معناه، وأن تأويله أي صرفه عن ظاهر معناه لا يكون صحيحا إلا إذا بُنـــي على دليل شرعي (آية قرآنية أو حديث متواتر أو مشهور أو صحيح متفــق عليه).

وإذا تأملنا ما قيل في شأن آية الأنبياء٣٠ نجد أن تأويل ألفاظها قــد قُصد به صرف ألفاظ الرتق والفتق كلا عن ظاهر معناها لتواطيء نظريـــة الانفجار الإلحادية التي يضحك العلماء منها الآن والتي نصب أحد المؤيدين لها نفسه وكيلاً عن المسلمين كافة فقال بأن المسلمين يتخذون هذه النظريـــة دليلاً قرآنيا على خلق الكون ؟!!

مع أن الله العظيم رفض أن يكون رسوله صلى الله عليه وسلم وكيلاً عن المسلمين فقال سبحانه وتعالى ﴿لست عليهم بوكيل﴾ فهل من سبب لهذا التهور الغريب!!؟

أهدار اللغة العربية

وإذا تأملنا القرآن العظيم نجد أن كلمة السماوات تسبق كلمة الأرض في أكثر من أربعمائة آية كريمة،أما كلمة الأرض فتسبق كلمة السماوات في أقل مـــن عشر آيات وبين الكلمتين دائما حرف الواو وقد ظن البعض بأن هذا " يدل " على أن السماوات خلقت قبل الأرض !! ربما طبقا لعدد الأصوات في النظام الديمقراطي!!

وهذا النظر يعني إهدار قواعد اللغة العربية التي تقول في حروف عطف النسق أن " الواو " لمطلق الجمع بلا ترتيب ولا معية. ومن ثم فإن مجيء كلمة السماوات قبل الأرض أو العكس وبينها كلمة " الواو " فإن ذلك يدل على أن الاثنين أي السماوات والأرض لم يخلقا معا وأن الترتيب في خلقهن لابد لمعرفته من الرجوع إلى آيات أخرى في القرآن الكريم.

والقرآن العظيم قد بين هذا الترتيب في البقرة ٢٩ وفى فصلت٩-١٢ وفى النازعات ٢٧-٣٣ حيث بين في البقرة٢٩ أن خلق الأرض وما فيها قد تم ثم جاء بعده تسوية السماء التي كانت ما تزال دخانا سبع سماوات، وأما في فصلت فقد فصل أن أولا كان خلق الأرض وثانيا خلق ما فيها وثالثا حكم بأن يكون الدخان سبع سماوات وأن تأتى الأرض أي تدحى. وفى النازعات فقد فصل بناء السماء ثم رفعها ودحي الأرض كلها. وذلك طبقا لقواعد اللغة العربية في حروف عطف نسقها الواو وثم والفاء (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ح ٣/ ٢٢٧ وشذور الذهب ٤٤٥ وجميع كتب قواعد اللغة العربية)

تجهيل السياق القرآني

فمثلا في شرح آيات خلق الكون ، استعان المتأولون على الله العظيم بآية الدخان في فصلت ١١ ليكمل بها المراحل الأربعة التي تحتاجها فكرة فتق الرتق رغم ارتباط الآية هذه بما قبلها التي قبل حرف عطف النسق " ثم " التي تفيد مطلق جمع ما قبلها مع ما بعدها وأن بينهما مهلة زمنية ، وأن ما جاء قبل " ثم " فقد حدث فعلا كما أراد المولى عز وجل وبعد مدة زمنيه لا يعلمها إلا الله- حتى الآن- وقع الحدث الثاني وهو الاستواء إلى السماء التي كانت مازالت دخانا بعد تمام خلق الأرض وما فيها.

وهذا الأمر لا يجوز في تفسير آيات الذكر الحكيم التي هي قسم لا قسيم والتي أنزلت بعلم الله باللغة العربية أي أن التفسير لابد وأن يكون طبقا لقواعد اللغة العربية ، وهنا كان لابد أن يلتئم الحدثان خلق الأرض وما فيها والاستواء إلي السماء وهى دخان حتى يبين للمتدبر أن الأرض خلقت تماما وتخلف عن خلقها وجود الدخان.

ولكن لأن الهدف -عند المتأولين الجهلة- من الادعاء بأن الأرض خلقت من الدخان، إنما هو لتواطىء نظرية الانفجار العظيم والوجود داخل مجرة سكة التبانة ودوران الأرض . كل ذلك لبث الضلال في قلوب المؤمنين..ومن بعده الكفر؟! فهل ذلك مبلغ قهر نفوسهم !!؟

ولأن الهدف من هذه المقالات والندوات وغيرها هو القول بصحة الانفجار العظيم وأنها مطابقة للآية ٣٠ من سورة الأنبياء فقد قالوا بأن قوله تعالى " كما بدأنا أول خلق نعيده " الانبياء١٠٤ إنما المقصود به هو فتق الرتق الثاني بعد الانسحاق العظيم الذي يزعمونه. ولما كان هذا القول هذا يتناقض تماماً مع السياق القرآني الذي يفسر هذه الكلمات الإلهية ببعث البشر دفعة واحدة بكن فيكون -كما خلقهم أول مرة- طبقا للسياق القرآني في جميع التفاسير، ولذلك فإن نص الآية ١٠١-١٠٣ قد ورد عن حال الناس يوم القيامة. ومن ثم جاء نص الآية ١٠٤ ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ فالمعنى بأول خلق هو خلق الناس في البداية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ السجدة ٩ أي بكن فيكون في النشأة الأولى. أما يكون "يوم نبدل الأرض غير الأرض والسماوات" أي السماوات غير السماوات حذفت الثانية إيجازاً وآيات القرآن العظيم تقول إن الجنات

موجودة فعلاً والنار موجودة أيضاً... فالبديل لهذا الكون موجود فعلاً، من ثم فلا رتق ولا فتق لا في الأولى ولا في الآخرة.

ومثل ذلك الافتراء وأكبر الادعاء بأنه أثناء خلق الأرض من الدخان كان يتم في نفس الوقت خلق السماوات السبع من الدخان أيضاً...وهذا قول الملحدين لأنه مناقض لصريح النصوص القرآنية التي بينت ترتيب خلق السماوات والأرض وأنه قد تم على مراحل منفصلة في ستة أيام. ففي سورة فصلت ٩-١٢ بينت ما الذي خلق في يومين ثم ماذا خلق بعد ذلك في يومين تاليين حتى تم خلق الأرض وما فيها ﴿في أربعة أيام سواءً للسائلين﴾. ثم ذكرت الآيات الكريمة بعد ذلك أن الله العظيم قضى بعد مهلة فحكم بخلق السماوات السبع في يومين، فكان الجملة ستة أيام غير المهلات الزمنية الثلاث بين كل خلق وخلق وتنفيذ حكم خلق السماوات جاء تفصيله في سورة النازعات ٢٧- ٢٨ حيث قال تبارك وتعالى ﴿ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها﴾ فبناء السماء جاء في أول حقب الحياة الحديثة (عصري الإيوسين و الاليجوسين) أما رفع السماء فقد تلي ذلك حيث رفعت السماء في عصر (الميوسين) الذي مدت فيه الأرض للمرة الثانية فظهرت بقاراتها كما هي حاليا واستوى الخالق العظيم على عرشه وسخر الشمس والقمر يجريان حول الأرض فالليل يعقب النهار كما هو ثابت في قوله تعالى ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر . كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . يغشى الليل النهار . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد ٢- ٣). ولأن قاعدة "

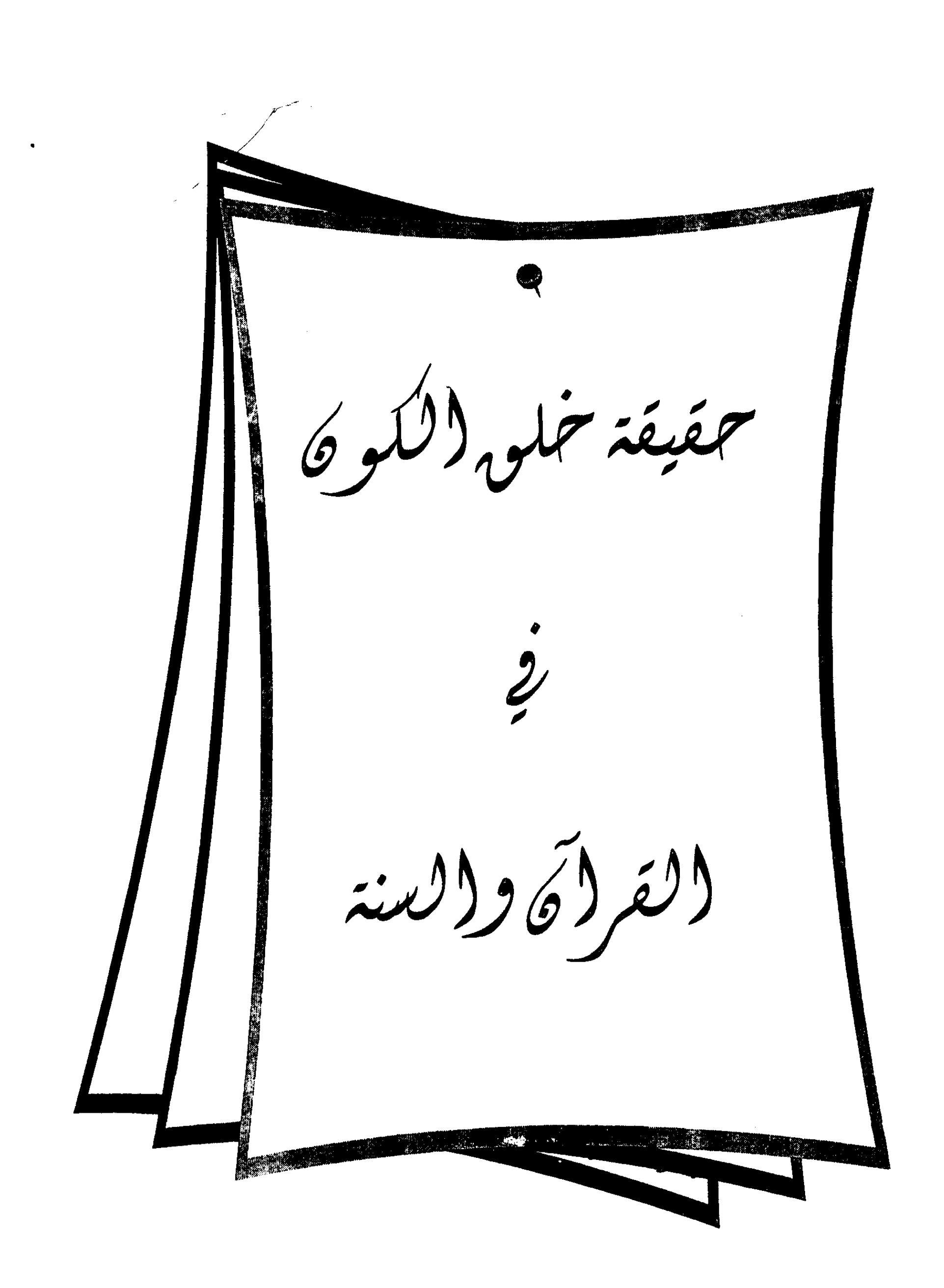
الواو " في النحو هي لمطلق الجمع بلا ترتيب ولا معية ومن ثم فهي تتناقض مع هذا الزعم الفاسد الذي يقول بخلق الأرض والسماء معا في ذات الوقت.

ونقول لهؤلاء: أين علمكم بقواعد النحو والبيان والبلاغة، أيـــن علمكـــم بالقواعد الأصولية اللغوية والتشريعية؟ استغفروا ربكم وتوبوا إليه إن كنـــتم مع الله حقاً. وادرسوا علوم القرآن العظيم واهضموا مـــا تدرســـوه قبـــل أن تتكلموا للناس فيه؟!!




بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن
وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾
صدق الله العظيم




حقيقة خلق الكون
في
القرآن والسنة



حقيقة خلو الكون في القرآن الكريم والسنة المطهرة

قال الله العظيم في الآية الكونية الوحيدة التي تخبر عن ما كان قبل خلق السماوات والأرض ﴿ **وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾ (هود ٧) يعني أن الله سبحانه خلق الكون كله من الماء الذي تحت عرشه تبارك وتعالى بدليل قوله سبحانه أن عرشه المجيد الآن تحمله الملائكة في قوله تعالى ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به** ﴾ (غافر ٧) ذلك بأن "كان" تُفيد عدماً قبله وجود؛ فالآن لا يوجد ماء تحت العرش وإنما توجد ملائكة.

وكذلك فأن السنة المطهرة ذكرت وصفاً للملائكة الذين يحملون العرش (فإسرافيل يحمل ركناً من أركان العرش على كاهله قدماه نافذة في الأرض السابعة السفلى ورأسه نافذة في السماء السابعة العليا (أخرجه الإمام محمد بن عبد الوهاب في أصول الإيمان).

أولاً : الكون

يتكون من:

أ - كوكب الأرض الذي لا مثيل له في الكون كله

ب- السماوات السبع سقف للأرض.

ج- والمجرات النجمية والبروج جميعها وأي نجوم أو كواكب والشمس والقمر كلها في السماء الدنيا أي السماء الأقرب إلى الأرض.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾ (المؤمنون ١٧) . والمراد بالطرائق السبع السماوات السبع، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾ (الأنبياء ٣٢).

فالكون في القرآن مكون من الأرض وسقفها سبع سماوات طباقا. فالأرض ليست داخل السقف لعلكم تعقلون !! وكلمة "فوقكم" في آية المؤمنون ١٧ ظرف مكان تدل على أن السماء فوقنا بمعنى أننا المستخلفين في الأرض أي لسنا في مجرة نجميه في السماء، لأن المجرات النجمية وما في بعضها من بروج و الشمس والقمر كلها في السماء الدنيا، فالأرض إذا ليست في مجرة نجميه أي ليست في السماء. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ . . . وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت ١٢). وقال عز من قال: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾ (الحجر ١٦).

وقوله العلي الكريم ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ (الصافات ٦ و٧).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ . أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ . وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴾ (الرحمن ٧-١٠) أي رفع السماء إلى أعلى وجعل الأرض مخفوضة "لعلكم تعقلون" ؟!!

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ (الفرقان ٦١). ويبين العلي الكبير أن بين الأرض وسقفها أي السماء مكان تجري فيه الرياح والسحاب في قوله تعالى وتبارك:

﴿ ... وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (البقرة ١٦٤).

وكلمة "بين" ظرف مكان مُبْهم يُبينه عدد ٢ مضاف إليه هما السماء والأرض طبقاً لقواعد النحو وهذا يعني وجود مكان يفصل الأرض عن السماء، ومن هنا جاء قوله عز من قائل في وصف السماء بأنها سقف محفوظ للأرض. وبين السقف والأرض لابد من مكان بينهما. كأي بناء له أرض وفوقها سقف ..

ولأن السماء سقف للأرض فقد بين لنا الرحمن الرحيم أنه يمسك بها أن تقع على الأرض رأفة بالناس المستخلفين في الأرض في قوله تبارك:

﴿ ... ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ (الحج ٦٥) فكيف يتفق هذا مع القول بأن الأرض في مجرة في السماء؟! وهذا كله يقطع بفساد القول الذي يدعي أن الأرض في المجموعة الشمسية التي تقع جميعاً داخل المجرة النجمية "سكة التبانة" .. أي داخل السماء !! يقولون ذلك وعلى خلاف المشاهد في الواقع الكوني ثم يدعون الإيمان؟!!

ولما كانت هذه المقولة الضالة هي مقولة فرضية ظنية ليس لها دليل علمي ولن يكون!!.

ولما كان قول العلمانيين وجنودهم الذين يلبسون رداء الإسلام جهلاً أو كذباً؛

١- أن الانفجار العظيم خلق المجرات النجمية والأثير.

٢- أن الأرض والشمس والقمر وعدد من الكواكب نشأت داخل جزء من مجرة سكه التبانة.

٣- أن السماوات السبع بالمعنى القرآني لا وجود لها إلا في الكتب الدينية.

ليس إلا محاولة لخلط الأفكار لعمل " توليفة " بين القرآن وبين نظرية الانفجار العظيم الإلحادية.

فإن الله بين أن الكون مخلوق من الماء المهول الذي كان تحت عرش الرحمن ويتكون من:

الأرض وفوقها سقفها سبع طباق. وأن الأرض كروية الشكل يقيناً. والناس يعيشون فوقها من كل جانب. والسماء ملتفة حول الأرض كالسوار حول المعصم الأمر الذي يعني أن الأرض هي مركز السماوات السبع أي مركز الكون. وأنه ليس مع الأرض أي كوكب آخر أو نجم أو غير ذلك، وكلها مشاهد كونية صادقة، وهو ما يتفق مع ترتيب خلق الأرض ثم خلق السماوات (بناء ورفع) ثم خلق النجوم، وأن كلا من الشمس والقمر في السماء الدنيا قريباً جداً من الأرض في مركز السماوات السبع وبينها وبين السماء الأولى (الدنيا) "جو السماء " الذي يطلق علية الماديون أسم " الغلاف الجوي للأرض. قال سبحانه وتعالى "

﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ (النحل ٧٩).

ثانياً: البداية ... الأرض

البداية الكونية- ليست بروتوناً معدوم الحجم- وإنما كانت بداية عظيمة كما جاءت في الآية الكريمة السابعة من سورة هود وكما وصفها بحق الشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربي. ومع التقدم العلمي نستطيع أن نستنتج ما حدث علميا؟ فالله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء أراد أن يخلق السماوات والأرض على وجه غير مسبوق لقوله سبحانه ﴿بديع السماوات والأرض﴾ (البقرة ١١٧) فأخذ من الماء المقدسة التي عليها عرشه وفصل عنصريها عن بعضهما البعض بكن فيكون {وعلم الكيمياء يقول أن تمرير تيار كهربائي في الماء يفصل عنصريها) فكان كتلة خرافية من الأيدروجين وكتلة أخرى من الأكسجين ففلق ذرات الأيدروجين ﴿رب الفلق﴾ أي شطرها فانفجرت انفجاراً نووياً رهيباً كان له ناراً خرافية الحجم وضغوطا هائلة وأنوارا تعمي الأبصار. وأمر النار أن تكون أرضا.. فاستمرت النار مشتعلة بأمر ربها ومعها الأكسجين قائم عليها وقائمة به (المعلوم أن عدم وجود الأكسجين يطفئ النار فورا) مليارات السنين قد تكون ١٥ أو ٢٥ أو أكثر فكلما تقدمت أجهزة القياس، كلما اقتربنا من حقيقة الرقم. ثم صارت الأرض جمرة ضخمة لمدة مليارين أو أكثر من السنين حتى ذهب عنها لهيب النار من فوقها واستقر شيئا ما في باطنها نرى أثره في فوهات البراكين يتصاعد، وفي ضغوط علي القشرة الأرضية زلازلاً (الحقب الأركي) ... ثم بردت قشرة الأرض وبدأت تدخل في حقب الحياة القديمة وخلقت الشمس وبدأت الحياة. وهذا التفسير يبين جميع حقائق مشاهد الكون فهو يبين لنا تفسيرا لوجود الأكسجين في " جو السماء " والآيات ١٧، ١٨، ١٩ من سورة

المؤمنون يقول فيها العلى الرحمن الرحيم مبينا بقية المشاهد الكونية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ وتأييداً لنوح عليه السلام يقول تبارك وتعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ (القمر ١٩).

والذي أنزل الماء خلق النوى والبذور وخلق الإنسان.. وهكذا نرى جميع المشاهد الكونية... الماء والأكسجين والأيدروجين والبذور وغيرها أدلة مادية يستحيل الالتفاف حولها تثبت بقوة مادية وعلمية ساحقة دافعة صحة الحق الإلهي ...

ثالثاً: خلق السماوات السبع سقفاً للأرض

خلق الله العظيم الأرض وخلق ما فيها وسواها وخلق الشمس واقفة جامدة تماما فوق اليابسة التي كانت قارة واحده ضخمة يحد من حرارتها وسعير أشعتها غمامة هائلة تلتف تماما حول الأرض هو ذلك الدخان الوارد بالآية ١١ من سورة فصلت.

وظل هذا الدخان الكثيف يلطف من حرارة الجو بالقدر اللازم لبداية نشأة الحياة وبداية خلق الإنسان في أوائل حقب الحياة الحديثة حتى إذا استقام الإنسان في جذعه ونهض واقفا علي قدميه وساقيه فقد بدأ العلي الكبير في بناء السماء من ذلك الدخان بربط الأيونات السالبة بالأيونات الموجبة بقوة الجذب الكهربي في شرائط..

ضخمة مجدولة فبدأت بأن بدت السماء يتخللها منافذ تطل منها الشمس بأشعتها ومن ثم رأى الإنسان وغيره من الحيوان والنبات، الشمس عياناً لأول

مرة، فإذا ما أنتصف هذا العصر فقد رفع رب العزة السماء بشدها إلي أعلى (لأن الرفع لا يكون إلا بإحدى وسيلتين: أما الرفع على أعمدة وأما الشد من أعلى) بقوله تعالى: ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها﴾ (لقمان ١٠). وقوله تبارك وتعـــالى ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ (الرعد ٢).

والسماء ليست بداية مما فوق رؤوسنا كما يقول البعض. وإنما الذي نعيش خلاله ومن فوقنا إلى ما يقرب من ستة آلاف كيلومتر هو "جو السماء " النحل ٧٩.

يقول رب العــزة ﴿ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها﴾ (النازعات ٢٧، ٢٨)

وسمكها هو ارتفاع جرمها، ثم رفع العلي الكبير الســماء بجرمهــا الضخم بطباقها السبع إلي ارتفاع كبير يبدأ عنده بناء أول جرم السماء الدنيا. أما نهاية الطباق السبع وما حولها من فوقها فهو العرش المجيد كما ورد في السنة المطهرة (إن عرشه على سماواته لهكذا قال بأصابعه مثل القبة عليــه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب) وجاء في الكتب العلمية إنه يوجد علــى ارتفاع ستة آلاف كيلومتر حزام من الأيونات الكثيفة جداً سُمّي علــي اســم مكتشفه "فان ألين " وأن عرض هذا الحزام الشديد الكثافة هو أيضاً ستة آلاف كيلومتر وبعدها منطقة بعرض ستة آلاف كيلومتراً ثالثة أقل كثافــة تســمى قشرة آرجس ثم يأتي بعد ذلك حزام فان آلين الثاني شديد الكثافة وإلي مــالا نهاية. وأن هذين الحزامين ومعهما قشرة آرجس يلتفون جميعاً حول الأرض.

وكان هذا من أروع ما اكتشفه القمر الصناعي أكسبلورر- سنه ١٩٥٨ ولا تفسير لذلك إلا أن هذه هي بداية السماء الدنيا وما بعدها من سماوات. (كتاب "حكاية البشر علمياً" للمؤلف صلاح الدين أبو العنين).

رابعاً: المجرات

أما المجرات النجمية فمكانها هو السماء الدنيا لقوله تعالى: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ والمصابيح هي النجوم (فصلت ١٢). والدليل العلمي المادي هو البعد السحيق لهذه النجوم والمجرات عن الأرض. ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ الصافات ٦ والكواكب هي أيضاً النجوم وغيرها مما يسبح في السماء وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ (الفرقان ٦١). والبروج اثنى عشر برجاً وهي مجاميع النجوم ذات الأشكال المعروفة شديدة التألق والظهور. ولم يذكر كلمة (الدنيا) وصفاً للسماء ايجازاً بالحذف للدلالة عليها في قوله تعالى: ﴿وجعل فيها سراجاً -أي الشمس- وقمراً منيراً﴾ لأنهما في السماء الدنيا وكلمة (في) حرف وعاء فكل المجرات والنجوم والشمس والقمر جميعها تقع داخل السماء الأولى أي السماء الدنيا.

أما البروج فهي مجموعات نجميه تبعد عن الأرض آلاف السنين الضوئية داخل السماء الدنيا أيضاً.

ومن ثم فمن الضلال بل من العبث القول بأن الأرض في مجرة نجمية داخل السماء.... هكذا بغير أي دليل قرآني أو علمي. قال العليم الخبير سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا . إن تتبعون إلا الظن

﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ (الأنعام ١٤٨)، ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ (الأنعام ١٤٩).

والظن أكذب الحديث -كما جاء في السنة المطهرة؟ وتخرصون أي تكذبون في كل كلمة تقولونها. فهل أنتم مع الحق أم عندكم علم أم تخرصون بجهل أم بقهر؟!

ذلك بأن هذا القول يتعارض ويتناقض مع صريح الآيات القرآنية الكريمة كسالف البيان ويحاول أن يخترق الحق الإلهي بالضلال العلماني إبتغاء إيقاع المسلمين في الفتنة والخلاف. ليضيع الإيمان من القلوب!!

خامساً: أين الشمس والقمر

الشمس تقع على بعد ٩٣ مليون ميل من الأرض والقمر على بعد ربع مليون ميل من الأرض.

وواضح من وصف ارتفاع السماء عن الأرض أنها على ارتفاع ستة آلاف كيلومتراً من الأرض ومن ثم فكل من الشمس والقمر يقعان داخل السماء الدنيا، وليس داخل مجرة سكة التبانة، فالمجرة مستقلة. وبعيدة جداً عن الأرض آلاف السنين الضوئية وليس بها إلا نجوم فقط أما الشمس فليست نجماً كما يقول الماديون بل هي سراج أي فرن ذري له خصائصه التي تجعله لا يزيد ولا ينقص ولا ينضب وأن يظل مستمراً منذ خلقه الله حتى يوم القيامة، وما يقال غير ذلك فهي استنتاجات علمية أساسها فروض ظنية متناقضة مع الواقع ومع القرآن العظيم الذي ينص على بقائها حتى يوم القيامة.

والقرآن العظيم عندما وصف "لنجوم وصفها بأنها مصابيح أما الشمس فقد كان لها وصفاً فريداً خاصاً هو أنها "سراج" وهناك فرق بين

المصباح والسراج. فالمصباح مغلق على ما فيه. أما السراج فله ألسنة من اللهب مثل الشمس تماماً.

كما أن الله سبحانه وتعالى أفرد النجوم بأنها على أبعاد سحيقة من الأرض وأقسم بهذه الأبعاد السحيقة في قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ (الواقعة ٧٥، ٧٦). أما الشمس فهي جارة للأرض. وأما القمر فهو يكاد يكون لصيقاً بالأرض لذلك فإن القول العلماني بأن الشمس نجم هو قول جاهل ويناقض الواقع فهو غير صحيح علمياً ويتناقض مع القران العظيم ويدخل الزيغ والاضطراب في قلوب المؤمنين، ويقول رب العزة ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ (يونس ٣٦). كما أن عمر الشمس طبقاً لتجارب الفضاء (١١ مليار سنة) يمنع من القول أنها "نجم" وإلا لكانت قد انفجرت منذ أمد بعيد جداً طبقاً لما هو ثابت مادياً في الكون بالنسبة للمدد الزمنية لهرم النجوم التي تصير براقة ثم تنفجر.

سادساً: حركة الأجرام

من الثابت فلكيا أن النجوم داخل مجراتها تجري بسرعة ٤٠ مليون ميل في الساعة الواحدة في أفلاكها السحيقة البعد. "ALL ABOUT THE STARS by Terry White" New York والثابت أيضا أن سرعة دوران الشمس حول الأرض هي ٤٠ مليون ميل في الساعة الواحدة بقسمه طول فلكها علي ٢٤ ساعة رغم الاختلاف بين النجم والشمس.

والثابت أن جميع المجرات تجري في السماء الدنيا بسرعة الضوء.. تقريباً والثابت أيضا أن هناك مجموعة نجمية تقف في شمال صفحة الكون لا تريم ولا تتحرك أبداً هي مجموعة النجم القطبي فهي ثابت كوني".

أما مجرة سكة التبانة بنجومها التي تقف في أبعادها السحيقة عن الأرض وتلتف مع السماء حول الأرض.

فقد أثبت " إدوين هُبّل " أن الكون يتمدد بسرعة الضوء وأن المجرات لا تجري وإنما إتساع الكون هو الذي يهيئ لنا أن المجرات تجرى. ومن ثم فقد عرف سبب عدم جريان مجرة سكة التبانة ألا وهو قربها الشديد من الأرض مركز الكون ومن ثم ظهرت جميع المجرات تجري إلا سكة التبانة.

سابعاً: الأرض وبراهين جمودها في القرآن وعلمياً وبالقواعد الأصولية وأساليب البيان

١- فكما سبق أن بينّا أن الأرض أول شيئ خلق في الكون والمنطقي أن مركز الكون هو أول ما يخلق وأنه بعد خلق الأرض خُلقت الشمس والقمر وكانت السماء دخاناً ثم بنيت السماء ثم رفعت.

٢- وقالت تجارب الفضاء أن عمر الأرض ١٥ أو ٢٠ مليار سنة وأن عمر الشمس ١١ مليار سنة فالأرض قبل الشمس. وهنا ينهار كل ما قيل عن خلق الأرض في النظريات العلمانية كما تنهار المادة الأولى من الدستور الكوني لنيوتن وهي الجاذبية الكونية. أفلا يعقلون ؟!!

٣- وكان الناس في عصر جاليليو يعتقدون أن النجوم جامدة، فلما وجه تلسكوبا إلي السماء ووجد النجوم تجري في السماء قال إن الأرض هي التي تدور حول محور لها فنرى النجوم تجري.... ورغم ثبوت جري النجوم بعد ذلك وخطأ جاليليو إلا أن الغاوين وهم أغلب الناس يميلون إلي كل غريب وعجيب. فظل علماء الطبيعة وغيرهم يبحثون عن " دليل علمي " يثبت أن الأرض تدور حتى إذا قال نيوتن بالجاذبية الكونية

فرحوا إعتقاداً منهم بصحة نظرية جذب الشمس للأرض وباقي الكواكب من حولها وبأنها لذلك تدور حول الشمس ومن ثم قيل بالمجموعة الشمسية!!

٤- فلما كانت تجارب الفضاء وأولها فسخود- ٢ سنة ١٩٨٦ الروسية ثم الأمريكية بعد شهور وثبت عدم وجود جاذبية للأرض علي ما هو مرتفع فوقها بـ ٤٠٠ كم وأن أي شيء يوجد في هذا الارتفاع يكون في حالة انعدام وزن، فلا الأرض تجذبه ولا الشمس ولا القمر، فقد أحيط بالعلمانيين التجريبيين الماديين الوضعيين أتباع النظرية العلمية الوضعية للفيلسوف الفرنسي أوجست كونت الذي طالب الناس إن كانوا في حاجه إلي من يعبدوه فليعبدوا أحد أبطال البشر: فمازال هؤلاء يبحثون عن دليل علمي يفسر مقولة كوبرنيكس عن المجموعة الشمسية ودوران الأرض حول الشمس الذي يعتقدون به منذ مئات السنين -بلا طائل ولا جدوى.. وإلى الأبد ...

٥- وعلى رأس الثلث الثاني من القرن الماضي أجرى اثنان من التجريبيين نظرية سرعة الضوء على هدى ما يتركه "اللانش" السريع من تموجات في الماء وأن جرى الأرض حول الشمس وحول نفسها لابد وأن يترك تموجات في الأثير.. ولما لم يجدوا أثرا وتبين أن "سرعة جري" الأرض تساوي صفرا... ذهل العلماء فأعادوا الكرة لهذه التجربة عدة مرات دون جدوى.

ولما كانت هذه التجربة. مادية فيزيائية. فأن بعض العلماء أقروا بجمود الأرض، والبعض الآخر أخذتهم العزة بالإتم فظلوا علي ما هم فيه من أوهام وضلال.

٦- وقال أينشتين أنه لا يمكن معرفة الثابت من المتحرك في أجرام الكون إلا بالوقوف على رصيف ثابت في الكون والنظر إلي الأجرام.
٧- وسبحان الله وتعالى لم يلهم أينشتين ولا غيره من العلماء اللادينيين الماديين التجريبيين الوضعيين وكذلك الذين يجرون خلفهم ويلهثون حتى الآن؛ أن الله سبحانه وتعالى جعل في شمال الكون (الثابت الكوني) الذي به يهدي الإنسان قاطبة والبشر جميعا في ظلمات البر والبحر والجو إلي كافه الاتجاهات، ومنه عرف العلماء بقانون الحركة البديهي (مقارنة ساكن بمتحرك أو متحرك بمتحرك بسرعة مختلفة) وأنَّ النجوم تجري في أفلاكها بسرعة ٤٠ مليون ميل في الساعة، ولو أن الباحثين سالفي الذكر أجروا تجربة الهدى في الأرض علي ثبات اتجاهات النجم القطبي (وهو ثابت كوني) لعلموا بهذا الدليل المادي أن الأرض جامدة لا حركة لها وأنها مركز الكون وأنها آية الله العلي الكبير العظيم في هذا الكون.
٨- ولو فكر التجريبيون بطريقة مادية سليمة لحاولوا معرفه كتلة جرم الأرض أيدروجينيا بالتسلسل " الكيميائي التراجعي ولوجدوا كتلة الأرض أيدروجينياً أكبر مليارات المرات التي لا تحصى ولا تعد من كل أجرام السماء ونجومها وشمسها وقمرها. ولثبت لهم فساد كل نظرياتهم وأولها كيفية خلق الكون والمقوله العبيطة عن جذب الشمس للأرض!!
٩- ومنذ عشرات السنين بحث كثير من علماء المسلمين عن آية أو كلمة في القرآن الكريم تثبت دوران الأرض صراحةً أو ضمناً فلم يجدوا ومنذ وقوع المسلمين في قهر الأجانب اللادينيين... فقد قال الإمام التركي الشيخ سعيد النورسي ما موجزه أن [عوام الناس- وهم معظم الجمهور- لا يقدرون على رؤية الحقيقة عريانة، ولهذا صور القرآن تلك الحقائق (!!)- التي لم يذكر منها سوى دوران الأرض- بمتشابهات وتشبيهات

واستعارات للحفاظ على جمهور الناس من الوقوع في ورطة التكذيب بما لم يحيطوا بها علماً، وضرب مثلاً بأن القرآن يتلطف ولا يقول الأرض كرويه تدور حول نفسها وحول الشمس بسرعة، لانه لو جاء ذلك بالقرآن لا نفض الناس من حوله ولأنكروا ذلك]!! (تأصيل الأعجاز العلمي في القرآن والسنة الصادر عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد بمكة هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في أكتوبر سنة ١٩٨٧).

وعلى هذا المنوال نشر أخيرا وأذيع نفس التعلة لقطع الناس عن البحث في القرآن والسنة عن حقيقة حركة أجرام الكون وجمود الأرض.. ونسى الشيخ النورسي ومن قال مقاله مقهوراً أن آية الإسراء والمعراج أكثر عجباً ودهشة وأشد قوة على عقول عوام الناس لولا أن الله يحب من عباده الأقوياء فأنزل القرآن للناس والسنة؛ عن حقيقة حركة أجرام الكون وجمود الأرض. ونجد في التفاسير القرآنية للسلف والتابعين وتابعيهم والخلف حتى مشارف القرن الماضي لا يجدون كلمة واحدة في القرآن تقول بدوران الأرض إلي أن جاء العصر الحديث- عصر العلم الغربي الصناعي وسيطرة المشركين علي بلاد المسلمين، ووقوع المسلمين في قهرهم وفي غوايتهم !! وتقليدهم في اللباس والطعام والأساليب الاجتماعية وسفرهم إلي بلادهم للحصول على إجازات علمية من بلادهم والتفاخر بذلك علي علماء المسلمين وغيرهم فأتوا بعلمهم الظني وديدنهم الفكري وأساليب بحثهم الذي يتلخص في خطوات للملاحظة ثم افتراض نتيجة تجرى عليها التجارب حتى يثبت صحتها أو خطئها وحتى يقول شيخ الأزهر الأسبق مصطفى المراغي باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا في كتاب الأخير " حياة محمد " إن أسلوب "البحث العلمي" هو أسلوب البحث في القرآن الكريم إلى أن وصل القهر إلي هذه القمة من الناس!

وترتيبا على ما سلف فقد وجدنا محدثي المفسرين ومنهم الشهيد سيد قطب في "الظلال " يقول بغير دليل من القرآن أن الأرض تدور حول محورها وحول الشمس؟!!

أما ما قاله الشيخ سعيد النورسى والمتشابهات والتشبيهات والاستعارات فأمر ليس له من أثر في كل الآيات الخاصة بجري الشمس والقمر والليل والنهار كل في فلكه وآيات إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل وآية تكوير الليل على النهار والنهار على الليل، ذلك بأنها جميعاً أساليبها مباشرة صريحة واضحة الدلالة. فليس فيها شيء مما قاله الشيخ سعيد كما أنه ليس ثمة كناية ولا مجاز -في أي من أنواعه- فيما نشر أخيراً عن ترديد آيات سبح الشمس والقمر والليل وآيات غشيان، الليل والنهار حول الأرض وأي طالب في كلية اللغة العربية يرفض مثل هذا اللبس والتجاوز والجهل بأساليب البيان.

١٠- وسبحان الله جل شأنه وتقدست أسماؤه الذي يجعل لكل خطأ أثرا ولكل بطلان ما يزهقه، فنسمع ونقرأ أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون**﴾ (النمل ٨٨) ويعلق القائل على هذا بقوله (ومرور الجبال مر السحاب هو كنايه عن دوران الأرض حول محورها... إلخ).

ولما كان الحق الإلهي أبلج يأبى الالتفاف حوله فإننا نُذِّكر، والقرآن هو الذكر الحكيم؟ بالمناسبة التي تمر فيها الجبال مر السحاب هل هي الآن أم أنها من مشاهد يوم القيامة؟ فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**

فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ . وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ (النمل ٨٧، ٨٨، ٨٩).

ويقول "عز من قائل إفحاماً!! للمقهورين ورداً علي الضالين التائهين في قهر العلمانيين ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا . وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف ٤٧، ٤٨، ٤٩).

فوضح تماما أن تسيير الجبال إنما هو بعض المشاهد الكونية التي تقع يوم القيامة. وتأييداً وتحقيقاً للقرآن العظيم جغرافيا وفيزيائياً... فإن الله سبحانه وتعالى ... وصف "سير " الجبال بأنه قدر " مر السحاب" ومعلوم في علم الجغرافيا أن السحاب يسير بسرعة ١٠كم/ساعة ومن ثم فإنه يتناقض مع سرعة دوران الأرض -والجبال جزء من الأرض- المزعوم حول محورها الذي سرعته ١٠٠٠ ألف ميل/ساعة فكيف يتوافق هذا مع ذاك؟ أفلا تعقلون؟!

وهذه الكبوة الجغرافية والفيزيائية هي آثار القول الباطل المعارض والمتناقض مع الحق الإلهي.

وطبقاً للقاعدة الأصولية اللغوية الثانية من قواعد أصول فقه القرآن العظيم تقول بان ذكر سير الجبال يوم القيامة يثبت "بمفهوم المخالفة " جمودها قبل يوم القيامة أي الآن. فهل تعقلون ؟!
ولأن الجبال أوتاد للأرض فهي جزء ثابت فيها ومنها وطبقا لقاعدة المجاز المرسل الأولى هي علاقة الجزئية بإطلاقها على الكلية كإطلاق الربيع علي السنة والرقبة علي الإنسان، فإن جمود الجبال يعني جمود الأرض لأن الجبال جزء من الأرض.

١١- وقد أورد بعض المقهورين بعض الآيات ظنا بأنها تؤيد حركة الأرض وأعرض عن بعض الآيات لأنها تعارضه.. والإعراض عن آيات الله سبحانه وتعالى عليه جزاء مريع ذكر بسورة السجدة ٢٢ فقد أورد أتباع الماديين آيات سباحه الليل والنهار وغشيان الليل والنهار، وأعرضوا عن آيات التكوير والإيلاج لأنها تكشف المعنى القرآني لهذه المشاهد الكونية التي وصفها ربنا جل جلاله بقوله تعالى ﴿ . . . **واختلاف الليل والنهار لآيات لقوم يعقلون** ﴾ (البقرة ١٦٤). وآل عمران ١٩٠ أي تعاقب الليل والنهار بنظام محكم.

وفصلت هذا النظام المحكم آية التكوير وآيات الإيلاج في قوله تعالى ﴿ **خلق السماوات والأرض بالحق. يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل. وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري لأجل مسمى. ألا هو العزيز الغفار** ﴾ (الزمر ٥)، قال الإمام القرطبي عن قتادة أن تكوير الليل على النهار تغشيته حتى يذهب ضوءه، ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهو يعني قوله تعالى

﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾ (القرطبي جـ١٥/٢٣٥) وجميع المفسرين على هذا باتفاق. ومعنى يكور أي يلف كما تكور أي تلف العمامة أي " الشال " يكور أي يلف على الرأس الثابت فيصير عمامة. والآية صريحة ذات أسلوب مباشر يُفيد بقوة أن "الأرض" جامدة تماماً والليل والنهار يلفان أي يدوران حولها.

فهنا الليل يكور على النهار الذي يجلي الأرض فيجعل الأرض قد غطتها أي غشيتها الظلمة، ويكور النهار على الليل أي يجعل النهار الذي يجلي الأرض فتكون في ضياء ونور. وظلمة الليل وضياء ونور النهار من خصائص الأرض بفعل دوران الشمس حول الأرض. وهذا هو أسلوب المجاز المرسل في نوعه الرابع بذكر اللفظ الخاص بالسبب ويراد الأثر الناتج عنه. فالعمل أي التكوير هو لليل والنهار وهو ما يتفق تماما مع قوله تبارك وتعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون﴾ (يس ٤٠). وقوله تبارك وتعالى: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌ في فلك يسبحون﴾ (الأنبياء ٣٣).

أما آيات الإيلاج الأربعة:

قال العلي الكبير: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير﴾ (الحج ٦١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان ٢٩).

وقال تبارك وتعالى: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري لأجل مسمى. ذلكم الله ربكم له الملك. والذي تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (فاطر ١٣).

فكل الأفعال سواء الإيلاج وتسخير الشمس والقمر، مُسندة جميعها لليل والنهار والشمس والقمر. فهو أسلوب مباشر لا يحتمل تأويله.

وقال جل شأنه: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور﴾ (الحديد ٦).

والمعنى لقوله تعالى " يولج الليل في النهار " أي يدخل الليل في النهار فينقص من الليل فيزيد من النهار، " ويولج النهار في الليل؟ أي يدخل النهار في الليل فينقص من النهار فيزيد من الليل.

ولكي نعلم خرف المقهورين فإن دوران الأرض المزعوم ثابت السرعة. ومن ثم لزم تساوي الليل والنهار دائماً أبداً؟!

ولمّا كان زيادة الليل ونقصانه وزيادة النهار ونقصانه أمر ثابت على الوجه المعلوم قطعاً والمشاهد بصرا وبصيرة وحساباً وطبيعة وتقويماً، فإن قولهم بدوران الأرض يكون عبثاً وغباء، الاثنين معاً.

ولمّا كان ذلك- الزيادة والنقصان- من عمل الليل والنهار وليس من عمل الأرض الثابتة في سرعة دورانها حول محورها في فروضهم وظنونهم التي يزعمونها عمهاً بغير علم.

لذلك وبالتالي تكون حركة الإيلاج وحركة التكوير التي هي لكل من الليل والنهار دليلا يثبت جمود الأرض وفي ذات الوقت تفسيرا لقوله تعالى

﴿ . . . يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً . . . ﴾ (الأعراف ٥٤)، وبالتالي بياناً مبيناً لقوله تعالى: ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌ في فلك يسبحون ﴾ (الأنبياء ٣٣) وكذلك آية يس ٤٠.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ (الإسراء ١٢) وكلمة تفصيلاً مصدر مؤكد لرفع احتمال المجاز وبالتالي منع التصور والتخيل حتى تستقيم العقول في تفكرها واستنباط الحق من كلام الله العزيز الحكيم- الذي هو تسجيل للكون ومشاهده- والذي هو بدوره يثبت أن الكلام الإلهي في تلك الآيات أسلوباً مباشراً مجرداً من الظنون والأوهام!!! أي واضح الدلالة في النصوص جميعاً.

١٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف ١٧).

والكهف جزء من الجبل الذي هو جزء من الأرض، فالكهف يعني الكرة الأرضية بأسلوب المجاز المرسل في نوعه الأول، وكذلك بالبديهة السليمة الفطرة، والآية تقرر أن الشمس تميل عن الكهف ذات اليمين والشمس تغرب فتبعد عن الكهف ذات الشمال. فالحركة شروقاً وغروباً وميلاً وبعدا مسندة إلي الشمس وقد ظلت علي هذا التسخير الإلهي الذي يخرجها عن فلكها الطبيعي بأمر الله مرتين في كل يوم لمدة ٣٠٠ سنه أي لمدة ١٥٩٥٠٠ يوما وزيادة.. آية"من آيات الله سبحانه. وأسلوب الآية صريح واضح الدلالة لا يحتمل التأويل ويثبت بمفهوم المخالفة جمود الأرض تماما.

ويؤيد ذلك ويفصله قوله عز من قائـل: ﴿قال إبراهيم إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (البقـرة ٢٥٨) فهذه الآية تأكيد لشروق الشمس من مشرق الكون وغروبها في مغرب الكون، بأسلوب مباشر واضح الدلالة للفعل والفاعل والمفعول به، فلا مجال للتأويل ولا احتمال التأويل ولا خلاف ولا اختلاف، وكـذلك آيتـي سـورة الكهف ٨٦، و٩٠.

وفي السنة المطهرة
بدليل القاعدة الأصولية اللغوية
مفهوم المخالفة

١- في الصحيحين (البخاري ومسلم) عن أبي ذر قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم (أتدري أين تذهب هـذه الشـمس) قلـت الله ورسوله أعلم، قال: (فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثـم تسـتأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت).

٢- عن تفسير الإمام ابن كثير بتصرف: وقوله جل جلالـه ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أحد معاني المستقر هو مستقر الشمس المكاني تحت العرش الذي هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة. ففي وقت الظهيرة تكون الشمس في قبة الفلك فتكون أقرب ما تكون إلى العرش فإذا استدارت الشمس في فلكها الرابع في منتصف الليل صارت أبعد ما تكون إلى العرش وحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع.

٣- وقال الإمام البخاري بسنده عن أبي ذر. قال: كنت مع النبي صـلى الله عليه وسلم في المسجد منذ غروب الشمس، فقال -صلى الله عليه وسلم-: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس. قلت: الله ورسوله أعلم،

قال صلى الله عليه وسلم: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم". وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم "مستقرها تحت العرش".

٤- وفي حديث آخر أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها وذلك مستقرها – ثم قرأ ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾.

٥- وأخرج سفيان الثوري مثل ذلك بسنده عن أبي ذر.

٦- وعن المعنى الثاني (لمستقرها) وهو منتهى سير الشمس أي مستقرها الزماني أنه يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته .

٧- وقرأ ابن مسعود وابن عباس (والشمس تجري لا مستقر لها) أي لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلاً ونهاراً لا تفتر ولا تقف كقوله تعالى "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين" أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة.

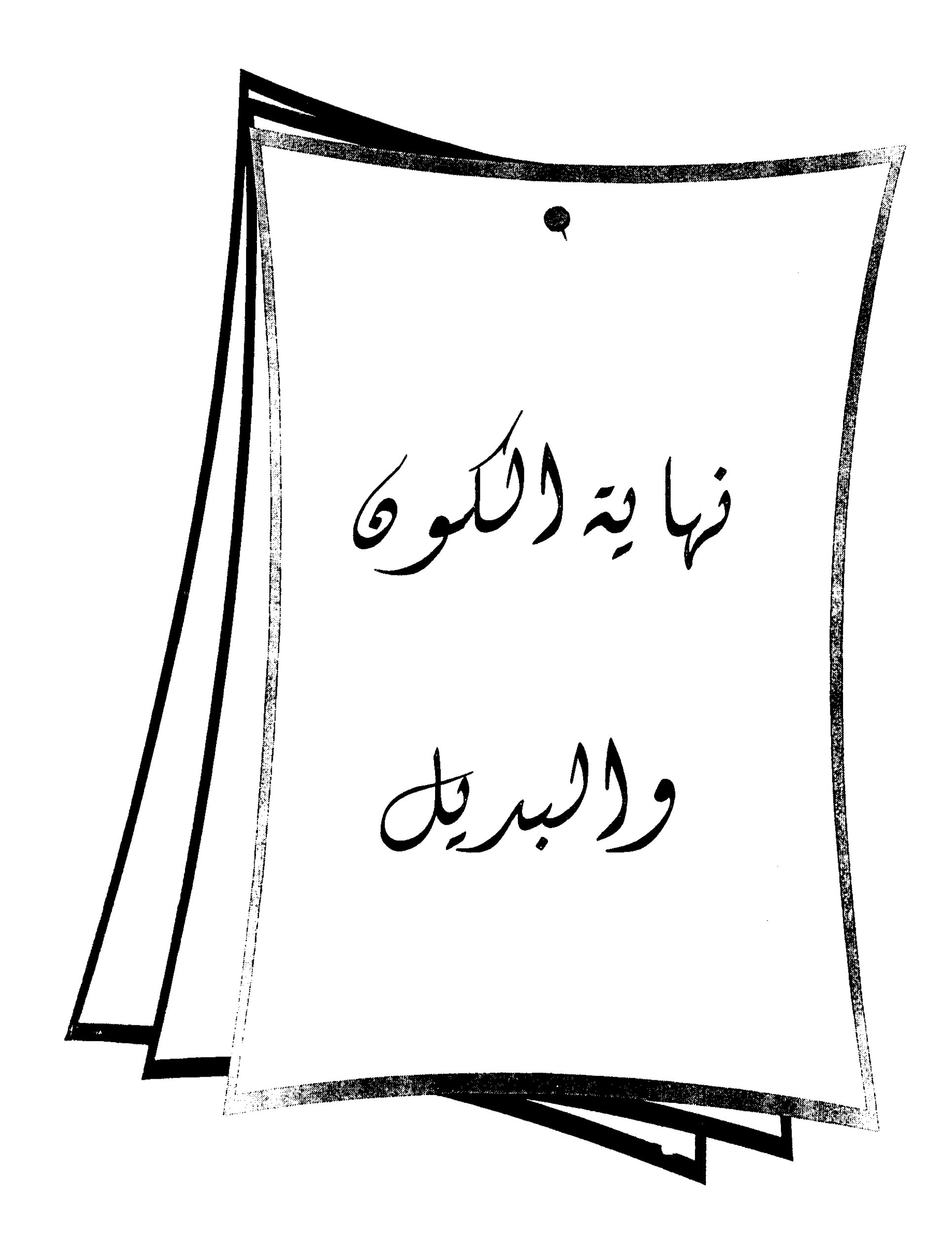
٨- ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ (يس ٤٠) أي الشمس والقمر والليل والنهار كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء[1] وهذه الأحاديث جميعها صحيح لاختلاف السند ووحدة المتن.

ومن هذا يتبين لنا أن دوران الشمس والقمر والليل والنهار المشاهد في الواقع الكوني المادي ليلاً ونهاراً إنما هو حول الأرض وبالتالي فإنه طبقاً لقاعدة مفهوم المخالفة تكون الأرض جامدة.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣/٢١١، و٥٧١.


بسم الله الرحمن الرحيم
لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
صدق الله العظيم


نهاية الكون
والبديل

نهاية الكون.. والبديل

١- وكما كانت البداية ماء عظيم القدر مقدس الكم والكيف يحمل العرش العظيم الكريم المجيد... خلق رب العالمين منه هدا الكون العظيم.

٢- فإن النهاية- وهي غيب- ولا يعلم الغيب إلا الله، لا تعرف إلا من كتابه سبحانه وتعالى علوا كبيراً. فالله جل جلاله يصف ما يحدث للكون إذا ما جاءت الساعة ولا تجئ الساعة إلا بغتة وصفاً لا مزيد عليه، فالجبال تمر مر السحاب ثم تنسف فتكون هباءً منبثاً والبحار تسجر والقبور تبعثر والأرض ترج رجاً وتزلزل زلزالاً فتخرج أثقالها ويسأل الإنسان ما لها وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ويجمع القمر مع الشمس.

ثم تطوى السماء التي هي في ذلك الحين وردة كالدهان طي السجل للكتب، ويخرج الناس من الأجداث إلي ربهم ينسلون، ويحشر الناس لا يغادر منهم أحدا.. وكل هذا معناه وجود الأرض ووجود السماوات حتى لحظة مجيء الساعة فلا إنسحاق عظيم إلا في مخيلة اللادينيين (العلمانيين) جرياً وراء آينشتين في تنبؤاته العلمية الظنيه وجرياً وراء الرتق والفتق في نظرية الإلحاد الانفجار العظيم والمقهورين الذين يكذبون على الله بقهر أنفسهم ووقوعها في هدي الشيطان إلى عذاب السعير.

٣- وإذا كان هذا يحدث للأرض والسماوات فإن العلي الكبير الرحمن الرحيم قد أعد من قبل أزوف الساعة جنات وجنات.... منها جنة للمتقين عرضها فقط كعرض السماوات والأرض غير جنات لنعيم والفردوس

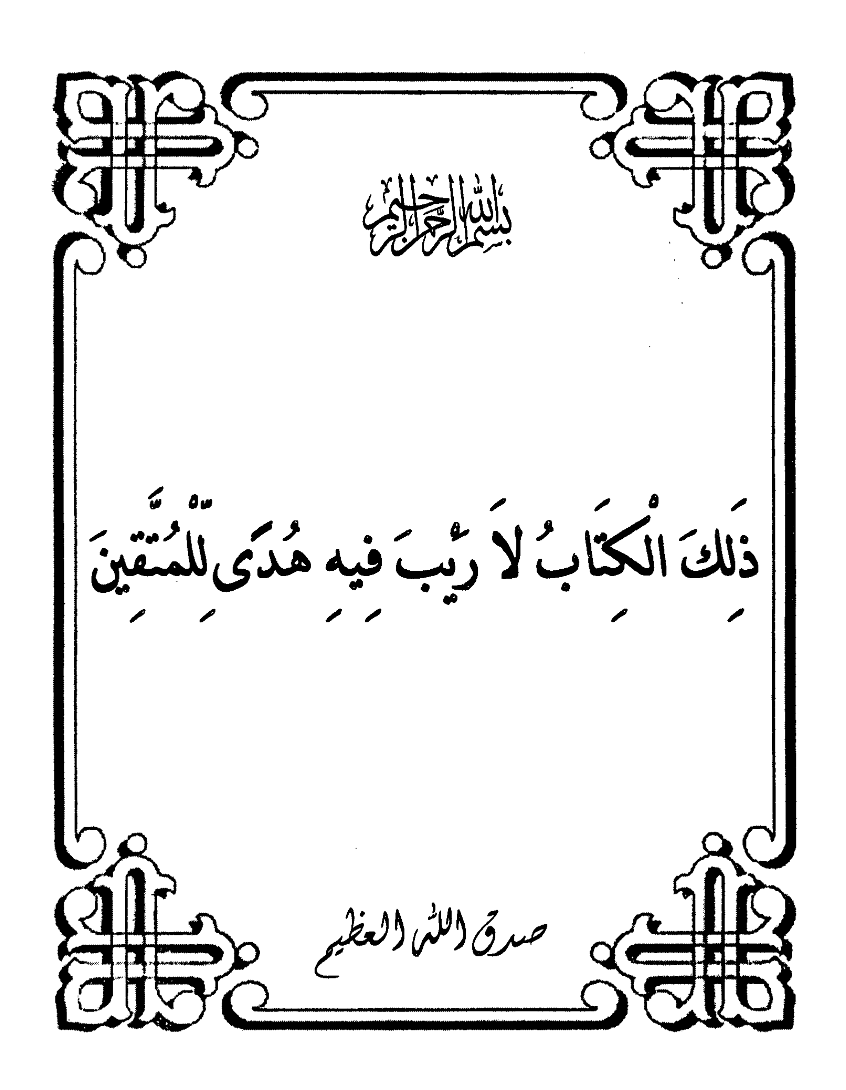
إلخ.. كما أعد النار بجرمها المهول.. كل أولئك قد خلق فعلاً وموجــود فعلاً لقوله تعالى: "تبدل" فلابد من وجود بديل فعلاً ومن هنا يقول العلي الكبير ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ . (إبـــراهيم ٤٧، ٤٨). فالأرض الموجودة الآن يقبضها الجبار الكبير في قوله سبحانه وتعـــالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمر ٦٧). فالله سبحانه وتعالى أعد البدل أي البديل لهذا الكون بأن خلق الجنات والنار ويوم القيامة يحشــر الناس ويقبض الله العظيم أرضنا ويعطي المؤمنين أرضا غيرها.. جنات تجري من تحتها الأنهار، وللكافرين نارا ضخمه جاهزة من الآن أيضاً، فهذا بدل لهذا، فلا وقت بين الحشر والحساب والجزاء إلا ما جــاء فــي كتابه العزيز سبحانه وهو ٥٠ ألف سنة وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم هي على المؤمنين كالوقت بين الصلاتين و يقول العلى الكبير في سورة النجم إثباتاً لوجود الجنات ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (النجم ١٣-١٨).

فكما لا رتق ولا فتق في الأولى فلا فتق ولا رتق في الآخرة إلا في قلوب الضالين.

٤- ولقد روى مسلم أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال عن ســدرة المنتهى (لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما يستطيع أحد مــن

خلق الله أن ينسفها من حسنها) وفي تفسير أبي السعود قال: قال صلى الله عليه وسلم (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب، ورأيت علي كل ورقة" ملكا قائما يسبح الله تعالى) عن صفوة التفاسير جـ٣/ ٢٧٤
وأجمع المفسرون على أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى في ليلة المعراج سدرة المنتهى والبيت المعمور والجنة والنار ... نهاية عظيمة تتواءم مع بداية عظيمة.




بسم الله الرحمن الرحيم
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
صدق الله العظيم




خاتمة الكتاب



خاتمة الكتاب

إن كل الأفكار العلمية سواء كانت مادية علمانية ونظريات شخصية فلسفية؛ إن هي إلا ضلال مبين، فليتق المؤمنون ربهم وليسمعوا قول الخالق البارئ المصور من فوق عرشه العظيم يقول للعالمين فيما أنزله قرآناً عربياً مبيناً مع روحه الأمين على قلب رسوله الرؤوف الرحيم ليكون من المنذرين بلسانٍ عربي مبين:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ . كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص ٢٧–٢٩).

وقال سبحانه تبارك وتعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر ٣٢–٣٥)

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات ١٧١-١٧٣)

هدى الله سبحانه وتعالى الجميع إلى الحق بالحق في كتابه وأرضه وسماواته ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (العنكبوت ٦٩).

والحمـــــــــــد لله رب العــــــــــالمين

٢٣ من ربيع أول ١٤٢٦ هجرية
الثاني من مايو ٢٠٠٥ شمسية

صلاح الدين أحمد أبوالعنين
المحامي بالنقض
عضو اتحاد الكتاب
ت: ٢٨٧٦٣١٥

أهم المراجع

١- القرآن العظيم.

٢- السنة المطهرة.

٣- كتب تفسير القرآن العظيم.

٤- كتاب "علم أصول الفقه" الشيخ عبد الوهاب خلاف.

٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.

٦- شذور الذهب.

٧- "النحو والصرف" دكتور رمضان عبد التواب.

٨- "أساليب الغزو الفكري" د. علي جريشة.

٩- "حصوننا مهددة من الداخل" د. محمد حسين.

١٠- "القصص القرآني" أ. عبد الكريم الخطيب.

١١- "أصل الأنواع" و"أصل الإنسان" تشارلس داروين.

١٢- "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي.

١٣- "قصة السماوات والأرض" د. محمد جمال الدين الفندي ود. محمد يوسف حسن.

١٤- "رسالة اليونسكو" العدد ٢٨٠، سبتمبر ١٩٨٤.

١٥- "مع الله في السماء" د. أحمد زكي.

١٦- "مجلة العلم والمجتمع" الصادرة من اليونسكو عن عصر آينشتين، العدد ٣٥، أغسطس ١٩٧٩، والصادرة ١٩٨٤.

١٧- "آينشتين والنسبية" د. مصطفى محمود.

١٨- "دائرة المعارف الأمريكية" الصادرة ١٩٧٨.

١٩- "ماذا تعرف عن الذرة" د. فتحي سلام، ود. إسماعيل هزاع.

٢٠- "الفيزيقا" د. محمد عبد المقصود النادي.

٢١- "الفضاء الكوني" د. محمد جمال الدين الفندي.

٢٢- "الفلك والحياة" د. عبد الحميد سماحة، ود. عدلي سلامة.

الفهرس

صلاح الدين ابو العينين

رحلة في أعماق الكون

رحلة في أعماق الكون

خلق الله الكون، واحكم قيادته، وعلى الرغم من ان كل شيء فيه معقد حتى تعجز عقول البشر عن فهمه، إلا انه في النهاية لا يختل فيه نظام ولا ينقلب فيه اساس.. فلا الشمس ينبغي لها أن تسبق القمر.. وكل يدور في فلكه يسبحون بحمده ويسجدون لاعجازه لان كل شيء خلق محكوما ومرتبطا بخالقه، ولكن ترك الله الانسان لعقله فاخذه بعيدا عن الإيمان بخالقه.

والكون هو كتاب الله العظيم الكبير.. والقران هو كتاب الله في الأرض..

والقران العظيم مكون من ٦٢٣٦ اية كما احصاها الامام الحافظ بن كثير. عد العلماء منها ٣٦٨ اية خاصة باحكام العبادات والمعاملات وفريضة القتال في سبيل الله. ثم زهاء ٥٠٠ اية في الهداية الاخلاقية. وظل علماء المسلمين يشرحون بالتفسير هذه الآيات منذ كان الاسلام وحتى هذه الساعة. كما يقول صلاح الدين ابو العينين في كتابه «رحلة في أعماق الكون» [ولم يلتفت إلا قلة للعلوم التي تهم الناس في حياتهم، مثل الخوارزمي الذي اكتشف «الصفر» فوضع النظام العشري، ثم عقد علم الحساب على بديهية الواحد والاضافة ووضع الجداول الرياضية التي نسميها اللوغاريتمات نسبة إلى ما نطق الفرنسيون اسم الخوارزمي بلسانهم فنطقوه لوغاريزم فكانت جداولة بجمع التكثير عند لوغاريتمات. واكتشف الخوارزمي أيضا علم الجبر حتى يختصر بها العمليات الحسابية.

واكتشف ابن سينا سرعة الصوت والدورة الدموية في الانسان وصححها له ابن النفيس سنة ١٢٠٠، فظل ذلك اساس علوم الطب في العالم لقرون عديدة. واكتشف الحسن بن الهيثم سرعة الضوء وكيف الرؤية البصرية..

ومع هذا فقد ظل علماء المسلمين متقوقعين على مائدة الائمة الاربعة ابي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ثم ياتي الغزو الفكري فيقعوا ضحية للعلمانية وقهر الاحتلال.

يحدث هذا على الرغم من ان بقية ايات الكتاب الحكيم وهي تربو على الخمسة آلاف اية، فإنها تتكلم بتمحيص علمي دقيق ومذهل في إثبات الوجود الالهي والقدرة الربانية لعلوم الخلق والسنن الكونية. اى بعلوم الطبيعة. فتتكلم عن خلق الكون. ماذا كان الأصل وماذا كانت البداية، ثم ما الذي خلقه رب العالمين اولا.. وماذا فعل به وفيه ثم ماذا خلق ثانيا وكيف نظمه وزينه. ثم ثالثا ما الذي ادى ووفى.

والله العظيم بهذا يدحض كل ما في كتب العلمانية من نظريات وافكار ملحدة ومشركة. ويوجه أعنف انذار في القران للناس ان هم اعرضوا عن ذكر الحقيقة القرانية.

وايات القرآن العظيم كما تتكلم عن خلق الكون فإنها تتكلم عن خلق الانسان بالتفصيل والبيان فتذكر بالتفصيل واقعة الخلق الغيبي من تراب ثم تذكر سلالة التراب حتى تصل إلى الصلصال فالفخار الذي سوى وعدل ونفخ فيه الروح فاصبح ادم عليه السلام وحيدا في العالم ومنه خلق له زوجه.

والكتاب يستعرض باسهاب الصراع بين علماء الكلام والعلم الطبيعي على الرغم من ان القرآن يخاطب المسلمين بقوله:

«أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم، فباى حديث بعده يؤمنون» (الاعراف ١٨٥).

ثم يزيد النصح فيقول الرحمن الرحيم:

«قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون». (يونس ١٠١).

وعن القران والمعاصرة. وبداية الخلق. ومادة الكون والوزن والميزان.. يدور حديث فكرى طويل ومسهب للكاتب يناقش فيه قضايا خلافية وقضايا فكرية يمحص فيها ويبحث ويرصد الأدلة والقرائن بشكل علمي سليم لا يخرج عن التدين بشيء، ولكنه يمس حياة المسلم في كل شيء.

كتب للمدرس بجميع المراحل التعليمية

الدين ٢٠٠ ـ ٢٩٩

٢٠٣ صلاح الدين أبو العينين . رحلة فى أعماق الكون / صلاح الدين أبو العينين . ـ القاهرة : توزيع دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ . ـ ٩٤ ص ؛ ١٩ سم . ـ ٢٠٠ ق .

(٥٧٢)

٢١٠ حسن الملطاوى . الإسلام من العقل إلى النهضة : دراسة فى فلسفة إسلامية جديدة / حسن الملطاى . ـ القاهرة : يافا للدراسات ، ١٩٩٠ . ـ ١٠٠ ص ؛ ١٩ سم . ـ ٣٠٠ ق .

(٥٧٣)

٢١٠,١ مصطفى حلمى . مناهج البحث فى العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب / مصطفى حلمى . ـ ط ٢ . معدلة ومنقحة . ـ الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م . ـ ٣٦٦ ص ؛ ٢٤ سم ـ ق .

(٥٧٤)

٢١٠,٨ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر (٦٩١ - ٧٥١) .
الوابل الصيب من الكلم الطيب / تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . ــ ط ١ . ــ الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م . ــ ١٦١ ص ؛ ٢٤ سم . ــ ٤٠٠ ق .

(٥٧٥)

٢١١ جمعة أمين عبد العزيز . فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين للإمام حسن البنا / تأليف جمعة أمين عبد العزيز . ــ ط ٢ . ــ الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م . ــ ٣٧٨ ص ؛ ٢٤ سم . ــ (في الفهم والتربية ؛ ١) . ــ ٨٠٠ ق .

(٥٧٦)

٢١٢ زكريا عابدين بن عثمان . الإيمان الحق وأثره في بناء شخصية المسلم / تأليف زكريا بن عابدين عثمان . ــ ط ١ . ــ القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ . ــ ١١١ ص ؛ ٢٣ سم . ــ ٥٢٥ ق .

(٥٧٧)

محمد الغزالي . الجانب العاطفي من الإسلام : بحث في الخلق والسلوك والتصوف / محمد الغزالي . ــ ط ١ . ــ الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م . ــ ٣٠٣ ص ؛ ٢٤ سم . ــ ٧٥٠ ق .

(٥٧٨)

٢١٣ جمعة أمين عبد العزيز . الدعوة قواعد وأصول / تأليف جمعة أمين عبد العزيز . ــ ط ٢ . ــ الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م . ــ ٧٥١ ص ؛ ٢٤ سم . ــ ١٣٥٠ ق .

(٥٧٩)

٢١٣ مصلح سيد بيومى . الخطابة فى الإسلام وإعداد الخطيب الداعية / تأليف مصلح سيد بيومى . ــ ط ٢ ، مزيدة ومنقحة . ــ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م . ــ ٣٥٠ ص . ٨٠٠ ق .

(٥٨٠)

٢١٦ عباس محمود العقاد . حقائق الإسلام وأباطيل خصومه / عباس محمود العقاد . ــ القاهرة : نهضة مصر ، ١٩٨٩ . ــ ٢٦٣ ص ؛ ٢٣ سم . ــ ٦٠٠ ق .

(٥٨١)

٢٢٥ جمال الدين حسين مهران . آيات من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم / جمال الدين حسين مهران . ــ القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ . ــ ١٠٢ ص ؛ ٢٥ سم . ــ ٤٠٠ ق .

(٥٨٢)

محمد حسين أبو العلا . القرآن وأوهام مستشرق / محمد حسين أبو العلا ؛ تصميم الغلاف كاميل جرافيك . ــ ط ١ . ــ القاهرة : المكتب العربى للمعارف ، ١٩٩١ . ــ ١٢٦ ص ؛ ٢٣ سم . ــ ٧٥٠ ق .

(٥٨٣)

٢٢٧ محمد لطفى جمعة . نظرات عصرية فى القرآن الكريم / محمد لطفى جمعة ؛ تقديم جاد الحق على جاد الحق . ــ القاهرة : عالم الكتب ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م . ــ ٥٥٨ ص ؛ ٢٤ سم . ــ ١٠٠٠ ق .

(٥٨٤)

٢٢٨ عبد الحميد يوسف منصور . فتح المريد فى علم التجويد / تأليف عبد الحميد يوسف منصور . ــ الاسكندرية : دار الدعوة ، [١٩٨-] . ــ ٢ جـ ؛ ١٦ سم . ــ ١٢٥ ق للجزء .

(٥٨٥)

٢٢٩ محمد خلف الله . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي / حققها وعلق عليها محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام . — ط ٤ . — القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩١ . — ٢٣٠ ص ؛ ٢٦ سم . — (ذخائر العرب ؛ ١٦) . — ٦٠٠ ق .

(٥٨٦)

٢٣٠,١ ابن النفيس . علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي . ت ٦٨٧ هـ . المختصر في علم أصول الحديث النبوي مع دراسة شاملة لمؤلفات ابن النفيس / علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس ؛ دراسة وتحقيق يوسف زيدان . — ط ١ . — القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م . — ١٩٩ ص ؛ ٢٤ سم . — (مؤلفات بن النفيس) . — ٨٠٠ ق .

(٥٨٧)

أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي . صحيح الأحاديث القدسية / (جمع) أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطي . — ط ١ . — [د . م] : عربية للطباعة والنشر ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م ؛ [القاهرة : توزيع الدار المصرية اللبنانية] . — ٥١٢ ص . — ١٥٠٠ ق .

(٥٨٨)

٢٣٤ الصاغاني . رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن . ٥٧٧ - ٦٥٠ هـ . رسالة في الأحاديث الموضوعة / تأليف رضي الدين أبي الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني ؛ تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد . — القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م . — ١٤٣ ص . — ٦٠٠ ق .

(٥٨٩)

٢٣٧ النووى ، محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف ، ٦٣١ - ٦٧٦ هـ .
الأربعين حديثا النووية مع شرحها / محيى الدين أبى زكريا بن يحيى بن شرف النووى الشافعى ؛ تحقيق أحمد عبد الله باجور . — ط ١ . — القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م . — ١٤٢ ص ؛ ٢٤ سم . — ٥٠٠ ق .

(٥٩٠)

٢٣٩ محمد الغزالى . فقه السيرة / محمد الغزالى . — ط ٢ ، منقحة ومزيدة . — الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م . — ٥٣١ ص ؛ ٢٤ سم . — ١٢٠٠ ق .

(٥٩١)

٢٤٠ أحمد عبد الرحيم السايح . علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة / أحمد عبد الرحيم السايح . — ط ١ . — القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م ؛ توزيع الدار المصرية اللبنانية . — ١٠٨ ص : ٢٣ سم . — ٥٠٠ ق .

(٥٩٢)

فاروق أحمد دسوقى . محاضرات فى العقيدة الإسلامية / فاروق أحمد دسوقى . — الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٩٨٣ . — ١٥٠ ص ؛ ٢٤ سم . — ٢٠٠ ق .

(٥٩٣)

٢٤٣ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبى عبد الله ، ت ٧٥١ هـ . الروح : فى الظلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء / تأليف شمس الدين أبى عبد الله بن قيم الجوزية . — القاهرة : دار الفكر العربى ، [١٩٩١] . — ٣٦٨ ص ؛ ٢٤ سم . — ٨٠٠ ق .

(٥٩٤)